



تأليف

محمد بن أحمد عيسى العقيلي

مطابع دار الاصفهاني وشركائه


THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT




بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين

اما بعد فهذه رسالة ألفتها باسم (التصوف في تهامة) بذلت في تأليفها من الجهد والوقت ما ينوء به جهد مثلى . واعتقد انها أول بحث ودراسة فى بابها – على النهج الحديث – عن التصوف وادواره الروحية والسياسية والاجتماعية في (تهامة) واشهر زعمائه ونفوذهم الروحى ومكانتهم الادبية وحياتهم الخاصة والعامة والعلمية والعملية وكيف وفدت الصوفية الى المنطقة ، وتأقلمت فى بيئتها المحلية وأثرت وتأثرت ، وأعترف ان البحث شائك جدا والمصادر بالنسبة الى ما يتطلبه الموضوع العميق قليلة وان السبيل غير ممهد والطريق غير مطروق ،ومع كل ذلك فقد يكون الاول من نوعه والفريد فى بابه ، ولا اقول ذلك ادعاءا فقد يلمس القارىء المنصف الجهد المتواضع لعملى على صغر هذه الرسالة متى اطلع على موضوعاتها وتعمق في دراسة بحوثها ، وقد اشرت فى هامش كل صفحة الى المصادر المستقاة منها واكتفيت بذلك عن قائمة تلك المصادر وقسمت الرسالة الى ثلاثة فصول :

– الفصل الاول : حول الصوفية والتصوف وما يشجب ذلك من الكتاب والسنة واقوال السلف وآراء جهابذة الباحثين من شرقيين وغربيين

– الفصل الثانى : في كيفية وفود الصوفية الى اليمن وتأقلمها فى تهامة وادوار التصوف في عهود دول تهامة في العهد الزيادى والعهد النجاحى والصليحى والمهدى والايوبى والرسولى ، والصوفية ودورها

السياسى والاجتماعى ،الزعامة الروحية ونفوذها الاجتماعى الخ ما

ترا ه مفصلا فى الفهرسه •

ـ الفصل الثالث : ويتضمن التراجم لأشهر زعماء المتصوفة في تهامة

والله اسأل ان يجعل هذا العمل خالصالوجهه تعالى وان يجنبنا مواقع الزلل ويهدينا

سواء السبيل •

وختاما أتقدم بخالص الشكر والتقدير للاستاذ الجليل عبد القدوس الانصارى على

مساعدته القيمة ومجهوده المشكور في اخراج هذه الرسالة الى عالم النشر والذيوع •

(جازان)   محمد بن احمد عيسى العقيلى

الفصل الأول

الصّوفيّة

تأريخها موغل في القدم وهى ضرب من التبتل والتخلي والزهد في الحياة عرفت في شتى الديانات القديمة التى سادت العالم في تاريخه البعيد ، وتكاد تكون عالمية في شيوعها في مختلف الملل ، فقد مارسها (اليونان) (١) في وثنيتهم كما عرفت في البرهمية ثم البوذية في الهند والصين ومارسها (الفرس) على اختلاف نحلهم من مانوية وزردشتية وغيرها في شتى رياضاتهم الروحية .

ومما لا شك فيه انها من البدع الدخيلة على الاسلام وان كانت قد عدلت ، بحيث تتلاءم مع البيئة الاسلامية والجو العربى والا فالاسلام براء من الحاد بعضهم كقولهم بالحلول والاتحاد ـ تعالى الله سبحانه وتعالى ـ عن ذلك علوا كبيرا .

اشتقاق كلمة الصوفية

نسب بعض الصوفية اسمها الى الصفاء ـ وأين الصفاء من طريقتهم ـ وبعضهم نسبها الى لبسهم (الصوف) ولابن « خلدون » في مقدمته كلام في نشأة التصوف واسمه وفيه خلاف حول الاسم عنده وكذا عند ابى بكر بن اسحاق البخارى الكلاباذى المتوفي عام ٣٨٠ هـ في كتابه « التعريف لمذاهب أهل التصوف » طبع مصر عام **١٩٣٣** م .

منافاة التصوف لروح الدين

هوس الصوفية ألف فيه أئمة الدين وجهابذة اليقين ما يرشد الضال ويهدى الحائر ويجلى الباطل . وفي كتاب الله ـ عز وجل ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تبصرة وهدايه لمن القى السمع وهو شهيد . ونحمد الله ففى وطننا السعودى قد أزال الله البدع

---

(١) ومن صوفية اليونان صوفية أفلاطون الاشراقية .

وطمس معالم الباطل وانمــــا هناك في بعض وطننا العربى الكبير لا تزال لتالك البــــدع أسواق رائجة ومواسم حافلة وكتب متداولة وقد وجدت من الاقلام المنصفة مايشجب باطلها ويوضح خطأها ويدحض معتقدها فيمن يطلق عليهم « اولياء » والألى أصبح للعامــــة فيهم من الاعتقاد ما يرفعهم الى ما يحرمه الدين من تأليه البشر وعبادتهم (٢) من دون الله

---

(٢) جاء فى رسالة حديثة بقلم : « قادرى بن أحمد الأهدل » بعنوان : بهجة القـــلوب بتوحيد علام الغيوب » طبع مطبعة الامام بالقاهرة وهو من اخواننا أهل تهامة اليمن قال:

والنذر بالريـات للقبـــور	وغيره كالســـمن والبخور
شرك به يكفر مـن قد فعله	ان لم يتب عن الذى قد فعله
كذلك الاستسقـاء بالاموات	وغيرهم من طلب الخـيرات
ودفع شر قبل أن ينـــالهم	ورفعه ان كان قد أصـابهم
والمسح للصدور بالتــراب	من بهرة القبور والقبـــاب
فليتهم عما قليـــل آبوا ..	وآمنـــوا بربهم وتـــابوا

وقال شارحا ارجوزته : « وهذا كثير جدا فى بلادنا وأكثر من انهمك فى ذلك آبائى وأقربائى بالمراوعة وغيرها ولولا أن تداركنى الله عزوجل من تلك الظلمات كدت أكون داعية الى ذلك فكنت أتسلم الذبائح من الزوار وأذبح منها على قبر والدى فى قضاء عبس ببلدة تسمى « المساحلة » وكانوا اذا أجدبوا قاموا يتنادون ويتشـــــاورون ويجمعون الجزور والطعام ويتفقون على يوم من الايام ويحضرون القراء ويأكلون ويشربون وينادون يـــا سيدنا أغثنا ، الخ ، ص ١٠

وقال فى الصفحة ١٤ ما تلخيصه عن الشيخ على بن عمر الأهدل : « كان فى حياته ـ فى القرن السابع ـ رجلا تقيا صالحا ورعا وأولاده كذلك ، وترك بعضهم العلم وغـلا بعضهم فى الجهل فمالوا الى الفخر بالنسب حتى عين أحدهم رئيسا للقبر ويسمى فى عرفهم بالقيم يقوم بأعباء الزائرين ويدعو لهم عند القبر ويخبرهم بأن الشيخ فعل وفعل وقال وقال كذبا وبهتانا »

وقال بالصحيفة عن الشيخ « المناجى » صاحب بحيص ـ موضع بين ميدى واللحية ـ وعلى قبره وقبر ابنه بناء من الحجر والجص وسدنة يتلقون النـــاس ويزودونـــهم ويتسلمون النذور والذبائح ويكذبون عليهم بحكايات لا أصل لها أو أنها من الشيطان ويزعمون أن القبر يشفى من داء الكلب وغير ذلك من الترهات . ومثل ذلك قبر الشيخ أحمد بن عمر الزيلعى العقيلى فى اللحية وقبر الشيخ احمد بن موسى بن عجيل فى بيت (الفقيه وقبر الشيخ اسماعيل الحضرمى فى بلدة الضحى وغيرها) .

وفى ص١٦ : ومن أكبر الفتن وأعظم الاوثان التى أظلت الناس قبر بلغيث بن جميل المدفون فى « دير عطا » وعليه قبة كبيرة ، عند المسجد ويقرب اليه أنواع القرب ولـــه سدنة هم من الضالين فى الارضين ولهم يوم فى السنة يجتمع فيه الناس ويفـــدون بالخيل والطبول والمزامير ويختلط فيها الصنفان ، ويلبس القبر بالستائر وترفـــع فوقه الرايات .

تعالى . وأساس كل ذلك التصوف والصوفية التى ألهت الافراد وغلت في أرباب الزهد والتقوى وجعلت منهم وسائط بين الله جل وعلا ، وبين عباده حتى اذا توفي الله أولئك الرجال شادوا على قبورهم القباب وبنوا حولهم المساجد ونسبوا اليهم من الاباطيل الكرامات المزعومة والمعجزات الموهومة وكتبوا لهم (السير) المطولة وسموها (المناقب) والتى هى اشبه ما تكون بسير القديسين ولم يقف الامر عند ذلك الحد بل تعداه الى عبادتهم بانواع العبادات من دعاء وخشية ونذور واستغاثة وغير ذلك مما لا يجوز صرفه الا لله سبحانه وتعالى وها نحن نورد في بطلان كل ذلك من كتاب الله وسنة نبيه واقوال السلف الحجج الدامغة والقول الفصل :

قال الله تعالى : (ولقد بعثنا في كل امة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال جل من قائل : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) .

وفي الحديث (١) قال ابن مسعود (ض) من أراد أن ينظر الى وصية محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ قول الله تعالى : (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ــ الى قوله :ــ وان هذا صراطى مستقيما) .

وعن معاذ بن جبل قال كنت رديف رسول الله على حمار، فقال : «يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وحق العباد على الله ؟؟» . قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (حق الله على العباد ، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا) قلت : (أفلا أبشر الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا) أخرجاه في الصحيحين .

وقال جل من قائل (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك) وفي الحديث (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر . فسئل عنه فقال : (الرياء) وعن ابن مسعود (ص) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار) .

وجاء في كتاب فتح المجيد للشيخ (عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ) ص ١٣٧ تحت عنوان: « من الشرك ان يستغاث بغير الله او يدعو غيره»: قال تعالى:(ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلك فانك اذا من الظالمين) .

قال المؤلف : فتبين من قول شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ان دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة ، وقال تعالى عن خليله : وأعتزلكم

---

(١) كتاب التوحيد للشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

ومـا تدعون من دون الله ، وأدعو ربى عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) فصارالدعـاء من أنواع العبادة •

وقال شيخ الاسلام رحمه الله فى الرسالة السنية : فاذا كان على عهد النبى صـلى الله عليه وسلم ممن انتسب الى الاسلام من مرق منه فى عبادته العظيمة فليعـلم أن المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام ، لأسباب منهـا الغلو في بعض المشايخ بل الغلو فيعلى بن ابى طالب بل الغلو في المسيح ، فكل من غـلا فى نبى او رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول يا سيدى فلان انصرنى أو أغثنى أو ارزقنى أو انا في حسبك أو نحو هذه الاقوال • فكل هـذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ••

وقال ابن القيم رحمه الله ومن الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهـم والتوجه اليهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عمن استغاث به ••

وقال الشيخ صنع الله الحنفى رحمه الله في كتابـه فى الرد على من ادعى أن للاولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة : هذا وقد ظهـر الآن فيما بـين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهـم فى الشدائد والبليات وبهم تكشف المهمات فياتون قبورهم وينادونهم في قضـاء الحاجات مستدلين ان ذلك من كراماتهم ، وقالوا : منهم أبدال ونقباء وأوتاد ونجباء وسـبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب وهو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس وجـوزوا لهم الدبائح والنذور وأثبتوا لهم فيهما الاجور ، قال : وهـذا كلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الأبدى والعذاب السرمدى ، لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمـة الكتاب والسنة ومخالفة لعقائد الائمة ، وما اجتمعت عليه الامة •• وفي التنزيل: (ومن يشاقق الله ورسوله من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تـولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) •

وأما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم فيرده قوله تعالى : (أآله مـع الله) الآية وقوله تعالى : (والذين تدعون من دونـه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مـا استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) •

واما قولهم ان منهم أبدالا ونقباء وأوتادا ونجباء الخ فهذا من موضوعات افكهم كما ذكره القاضي المحدث في « سراج المريدين » وابن الجوزى ، وابن تيمية •

وجاء في كتاب « قرة عيون الموحدين (١) ص ٩٥ تحت باب « من الشرك النذر لغير الله قال تعالى : (وما انفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه)قال ابن كثير يخبر الله تعالى بانه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازانهم على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه قال شيخ الاسلام رحمه الله : اما النذر لغير الله كالنذر للاصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك فهو الشرك •

وجاء في كتاب فتح المجيد ص ٢٠٥ تحت « ما جاء ان الغلو في قبور الصالحين يصيرها اوثانا تعبد من دون الله » : روى مالك في الموطا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد) وفي الصحيح عن عائشة ان امسلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها في الحبشة وما فيها من الصور فقال : « اولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شر الخلق عند الله » ••

وفي الصحيح عن ابن عباس في قوله تعالى : (وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح هلكوا، أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التى كانوا يجلسون عليها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى اذا هلكوا ونسى العلم عبدت •

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن مجاهد في قوله تعالى : (أفرأيتم اللات والعزى) قال يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره •

وقال (محمد بن اسماعيل الصنعانى رحمه الله) في كتابه « تطهير الاعتقاد »: ان هذه القباب والمشاهد التى صارت أعظم ذريعة الى الشرك والالحاد واكبر وسيلة الى هدم الاسلام وخراب بنيانه : غالب – بل كل – من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة ، اما على قريب لهم او على من يحسنون الظن فيه ، من فاضل عالم او صوفي او فقير و شيخ كبير يزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الاموات من دون توسل ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون ، حتى ينقرض من يعرفه فيأتي من بعدهم فيجد قبرا قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع وفرش بالفرش الفاخرة وأرخيت

---

(١) **للشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الاسلام •**

عليه الستور والقيت عليه الورود والزهور فيعتقد ان ذلك لنفع وضر ، وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بانه فعل وفعل وأنزل بفلان الضر وبفلان النفع حتى يغرسوا في جبلته كل باطل ، والأمر ما ثبت في الحديث النبوي من لعن من اسرج على القبور وكتب عليها أو بنى عليها وأحاديث ذلك واسعة معروفة فان ذلك في نفسه منهى عنه بل هوذريعةالى مفسدة عظيمة انتهى •

بعض أقوال الامام الشافعي وشيخ الاسلام ابن تيمية

يروى عن الامام الشافعي انه قال : (ولو ان رجلا تصوف أول النهار لا يأتيالظهر حتى يصير أحمق) وانه قال : (ما لزم احد الصوفية أربعين يوما فعاد اليه عقله ابدا)•

ومن كلامشيخ الاسلام ابن تيمية في قول الصوفية شريعة وحقيقة : (هذا كلام قبيح لأن الشرع ما وضعه الخالق لمصالح الخلق فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من القاء الشيطان وكل من رام الحقيقة من غير الشريعة فهو مخدوع) • •

وايفاءا للبحث نورد فى هذه الحاشية ما ورد فى دائرة المعارفوبعض المصادرالحديثة الاخرى حول الصوفية :

ورد فى دائرة معارف وجدى مادة صوف ـ بعد التعريف ـ هذا المذهب قديم كقدم النزعة التى أوجدته ـ الى أن قال ـ : نشأ فى كل امةراقية ولبس شكلا مناسبا لعقولها وأفكارها وهو معروف فى الهند والصين منذ الوف السنين وله عند الهنود أساليب شديدة على النفوس منها أن يظل الرجل سنين لا يتكلم بل يقرأ فى نفسه بلا صوت بما يكون قد أمره أستاذه بتكراره ومنها أن يجلس الرجل على صفة خاصة وقتا مديدا الى غير ذلك من الاساليب • ولما وجد ـ يقصد ما عرفه بمذهب الصوفية ـ تحتظل الاسلام وأحيط بأدب القرآن دخل فى دور جديد الخ ••

الى أن قال : والحقيقة أن الاسلام دينعلموعمل وأخلاق بعث الله به محمدا عليهأفضل الصلاة والسلام لهداية البشر وتهذيب الانسانية •

الى أن قال : « والغزالى نفسه نصره قومفى صباه وخصمه وحرقوا كتبه فى بعض الاقطار الاسلامية ، وانتقد مؤلفاته شيخ الاسلام ابن القيم ووصفه بالتخليط والهذيان ، ونقد كتابه « الاحياء » أبو عبدالله المازرى المتوفى سنة ٥٣٦ وقال : كتابه متردد بين مذهب الموحدين والفلاسفة وأصحاب الاشارة •

وجاء فى كتاب « التصوف الاسلامى » للدكتور (زكى مبارك ص٨٠ تحت عنوان : « التصوف » :

التصوف : الذى يترسم آثار أصحابه ، ليس فى جملته مما تدعو اليه الشريعة الاسلامية ، وانما هو مزيج من عدة مذاهب « هندية » و « فارسية » و «يونانية» نقلت الى المسلمين فصادفت هوى فى نفوس الزاهدين منهم فوسموها باسم الدين ووضعوا لها على حسابه القواعد والاصول •

ويمكن الحكم بأن ما فى التصوف من الدعوة الى طهارة الباطن وحب الخير وبغض الشر وما الى ذلك مما يتعلق بخلوص النفس البشرية من حيث الصفاء يرجع فى « غايته » الى روح الاسلام ، وأما ما يختص بقطع العلائق مع الناس والتزهيد فى الحياة فهو بعيد كل البعد عن روح الدين لان الاسلام دين فتح « وجهاد » وهو يعد معتنقيه ليكونوا سادة وقادة بخلاف التصوف فانه يلبس أصحابه أخلاق العبيد ٠

وقال فى ص١٥ : أن مؤرخى هذا العلم مجمعون على أن لفظ التصوف لم يعرف مصحوبا بالرسوم الا فى القرن الثانى ، وان كان منهم من أشار الى أن اللفظ كان معروفا من القرن الاول ٠

ويقول « اليافعى » المتصوف اليمنى المعروف : نقلا عن شهاب الدين السهروردى ، وقيل : كان منهم طائفة بـ « خراسان » يأوون الى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن فسموهم فى «خراسان» (تسكتفيه) لأن «سكتف» اسم المغارة عندهم وأهل الشام يسمونهم (جوعية) ٠

وجاء فى كتاب « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » تأليف المستشرق (ت٠ج٠ دى بور) (T.J.DE POER) بجامعة امستردام تعريب محمد عبد الهادى أبو ريدة ص٨٨ – الفصل ٣ – المادة ١٣ – التصوف :

على أن « بعض » أهل الورع من المسلمين لم يكونوا جميعا ليجدوا فى علم الكلام ما تطمئن به نفوسهم – وكأنه يشير بكلامه هذا الى أصحاب علم الكلام والتصوف – والا فأهل السنة والجماعة مطمئنة قلوبهم بذكر الله وكتابه المنزل ٠ وقد قال تعالى : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » – يلاحظ أن المؤلف مستشرق مسيحى – فأحبوا أن يتقربوا الى ربهم عن طريق آخر ٠ هذه النزعة التى هى موجودة منذ عهد الاسلام الأول قويت بتأثير عوامل ترجع الى النصرانية والى مؤثرات فارسية – هندية ونمت وعظم أمرها بتأثير تقدم المدنية (١) « والنفور من الانغماس فى الدنيا » فنشأت عن ذلك مجموعة ظواهر دينية يطلق عليها عادة اسم : (التصوف) ٠

وفى نشوء هذه الطائفة من الاولياء والزهاد المنصرفين عن الدنيا نجد تاريخ رهبان النصارى والصوامع والأديرة فى الشام ومصر وتاريخ نساك الهنود يعيد نفسه » ٠

الى أن قال فى ص٩١ : (ولا نعجب بعد هذا أن نجد كثيرا منهم – يقصد الصوفية – لم يحفلوا بالنظر فى علوم العقائد وان أخلاق الزهاد كثيرا ما انقلبت شر منقلب – وكأنه يقصد بكلمة « الزهاد » هنا زهاد المتصوفة ٠

وجاء فى كتاب « تاريخ الشعوب الاسلامية » لـ (كارل بروكلمان) تعريب نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ص٨٢ ج١ تحت عنوان : (الصوفية والصوفيون) ما معناه باختصار : « ان الصراع الحزبى القائم بين الحكام زاد ذلك التوتر الذى ساد علاقات الفرق الدينية ومن هنا حاول أصحاب النفوس (٠٠٠ » الفرار بأنفسهم من صخب المنازعات الى طمأنينة (الزهد) «١» الى أن قال : « وهم يحاولون أن يحركوا الشعور الصوفى بواسطة السماع، وليس هذا فحسب بل لقد استعاروا من الرهبان أرديتهم الصوفية البيضاء التى عرفوا بسببها بالصوفية ٠

---

(١) يظهر أن ما بين قوسين من زيادة المعرب ٠

مناضلة علماء زبيد لبدع الصوفية في تهامة

قال صاحب تحفة الزمن حسين بن عبد الرحمن الاهدل (١) المتوفي سنة ٨٥٥ هـ في ترجمة القاضي (احمد بن ابى بكر الناشرى) في النصف الاول من القرن التاسع – احد قضاة زبيد انه حمل الناس على الحق بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان ينكر على صوفية وقته ك (الجبرتى) و (ابن الرداد) واتباعهما لبدعة (السماع وكثرة الشطح والدعاوى واشتغالهم بكتب ابن عربى ثم قال : وساعد على ذلك مفتى الشافعية بـ (تعز) ابو بكر بن الخياط والفقيه الشافعي محمد بن نور مفتى (موزع) ونابذوا الصوفية وكان (للجبرتى) و (ابن الرداد) وجاهة لدى الملك الاشرف وولده الناصر من بعده فلم يكد يؤثر انكار الفقهاء في الصوفية فخرج القاضي (الناشرى) من (زبيد) ثم رجع وجرت مناظرات وأشياء يطول شرحها الى أن توفي الناشري وابن الخياط ، فقام الفقيه (اسماعيل بن المقرى) مع (ابن نور الدين) لمناضلتهم وكان الاخير قد ألف كتابا لطيفا في الرد على (كتاب الفصوص) لابن عربى وقال : انه أحق بأن يسمى كتاب (الغصوص) تكلم فيه على مقالته الباطلة القبيحة وبين أن جميع مقالاته لا تخرج عن مذهب الفلاسفة الا بما زاد عليهم من قوله بالاتحاد فانه مذهب النصارى لانهم ادعوه في عيسى خاصة وهذا (ابن عربى) زاد عليهم فادعى اتحاد الله سبحانه وتعالى بكل انسان وكل شخص – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – ومن ثم صوب عبادة الاصنام وسمى ابن (نور الدين) كتابه (كشف الغمة عن هذه الأمة) وقد نال الاذى بسبب ذلك من ابن الرداد كثير من الفقهاء والطلبة ، فلما قام (ابن المقرى) أظهر اشياء من مقالات (ابن عربى) وجعلها في كراسة وأرسلها الى فقهاء الوقت يسألهم الجواب عليها بحسب

---

(١) قال « الشوكانى » فى كتابه (نيل الوطر) ولد – المترجم له – سنة ٧٧٩ وقرأ على الزيلعى وعلى الازرق والرضى الطبرى ومحمد الموزعى وابن الرداد والناشرى وبرع فى عدة علوم وصنف حاشية على البخارى انتقاها من شرح الكرمانى مع زيادة سماها « مفتاح القارى لجامع البخارى » و « اللمعة المقنعة فى ذكر المبتدعة » – الى ان قال – وله – مؤلف فى مروق ابن عربى وابن الفارض واتباعهما وتحفة الزمن فى تاريخ سادات اليمن وله مصنفات غير هذه الخ .

البعض مراعاة ل (ابن الرداد) لوجاهته ومركزه وقد كان يتولى قاضي الاقضية • ما تقتضيه الشريعة فأجاب الاكثرون بانكارها ووجوب اتلاف كتب (ابن عربى) ووقف وانتهى تعصبه لابن عربى الى أبلغ حد • وكان بموته ضعف تلك العصابة وذلك في عام ٨٢١ هـ • ثم قام في بدعته (المزجاجى) و (الكرمانى) واوذى ابن المقرى بسببهما وحرضوا أعوان الملك على الهجوم على منزله فهرب الى (بيت الفقيه) ومكث هناك نحو سنة ثم عطف الله عليه قلب الملك (الناصر) قرب وفاته فلما توفي وتولى بعده ابنه (المنصور) أقبل على ابن المقرى وسائر الفقهاء بالاكرام وأهان (الكرمانى) وأخرجه من (زبيد) ثم قام ابن المقرى فجمع فتاوى بردته وما يترتب على ذلك من أحكام وكتب بذلك سجلا واستحضره فاحضر واستتابوه من كل دين يخالف الاسلام وقرىء السجل على منبر (زبيد) يوم الجمعة •



الفصل الثاني

كيف وفدت الصوفية الى اليمن

اشرنا الى أن الصوفية قديمة قدم الزمن في تاريخه البعيد وانها قد عرفت في شتى الديانات القديمة من وثنية وغيرها ، واليمن معروفة كسائر البلاد العربية بالوثنية ـ قبل الاسلام ـ وانما أثبتت البحوث الاثرية ان وثنيته كانت تستند الى نظام كهنوتى (١) وقواعد تعبدية لها معابدها المشيدة وهياكلها المؤيدة بقوة السلطان ولتلك المعابد موارد ثابتة تنهال عليها من (النذور) (٢) والهبات ولها خزائن وسجلات وسدنة وكهنة وغير ذلك ، فهى بذلك تكون قد قطعت شوطا بعيدا في حضارتها القديمة ونهجها العقدى ، في وثنيتها البعيدة ، ولا يبعد ان تكون قد عرفت ضروبا من نزعات التبتل التصوفي على نهج ونمط تلك الوثنية ، أضف الى ذلك تأثير اليهودية ثم النصرانية (٣)

---

(١) ورد فى كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور (جواد على) ان حكومة معين كانت حكومة مدن كل مدينة فيها كأنها حكومة مصغرة لها آلهتها التى تسمى باسمها ولها هيأتها الدينية ص ٤٠٥ ج١

(٢) وورد فيه ص ٤٠٦ ج١ وتتألف واردات المعابد من الضرائب والنذور والهبات والهدايا ا هـ باختصار

(٣) فى تهامة اليمن بعض قرى يطلق عليها اسم دير مضافة الى اسم شخص مثل « دير البحرى » و « دير راجح » والدير كما يعرف فى التاريخ وبالاخص فى العراق والشام موضع «البيع» فهل كانت تلك القرى أديرة من العهد الجاهلى قبل الاسلام ؟ أم هو اسم يطلق على القرية مضافة الى شخص ما ؟ وعسى ان نتمكن فى المستقبل من تحقيق ذلك وورد فى تحفة الزمن للاهدل أن الشيخ على بن عمر الاهدل لما اجاز تلميذه » بلغيث ابن جميل » أمره بالانتقال الى « دير عطا » أو بيت عطا ، وبعث معه أربعين فقيرا وهذا يدلنا على أن بيت أو دير عطا موجود من قبل بخلاف الرواية التى تقول انه اسسه رجل من تلاميذ بلغيث بن جميل يسمى « عطا « فنسب اليه .

في كثير من البلاد العربية ومنها (اليمن) (٤) و (تهامة) وكل منها عرفت (التصوف) وتذوقت طرقه • والنصرانية تكاد تكون طقوس رهبنتها وعزلة رهبانها في الاديرة والصوامع هي ما قلده مبتدعة المتصوفة وجهلتها في الزوايا والتكايا وغيرها •

فهل بقي من رواسب الماضي البعيد اثر «عدل مع مقتضيات الزمن وأخذ يبرز في ملامح خافتة بعد ان شعت شمس الاسلام وبددت بأنوارها الساطعة أشباح الاوهام ؟ أو ان الصوفية نجمت في أنحاء (تهامة) ـ التي خصصنا هذا الفصل لدراسة الصوفية والمتصوفة في أرجائها خاصة ـ كما نجمت في شتى البلاد الاسلامية عامة والعربية خاصة؟ وهذا ما سنحاول توضيحه بقدر امكاناتنا المتواضعة وما تحت أيدنا من المصادر

جاء في كتاب (ظهر الاسلام) للدكتور احمد امين ص ١٦٨ ج ١ ان (ذا النون المصرى رحل الى كثير من البلاد ك (وهران) بالمغرب والى (بيت المقدس) و(انطاكية) (واليمن) حوالى عام ٢٣٧ هـ

ومعروف ان « ذا النون المصرى » الصوفي هو رجل التصوف الاول ـ في وقته ـ وزيارته لتلك الاصقاع لا تحمل غير احتمالين هما :

١ ـ اما ان يكون قد تسرب التصوف الى بعض تلك الاقطار وقد راسلهم وراسلوه •
٢ ـ واما ان تكون رحلته تبشيرية لنشر طريقته
وهذا اقدم ما وقفنا عليه عن وفود الصوفية أو وجودها في (اليمن) و (تهامة)



---

(٤) وفي الحديث عن ابن عباس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن قال له « انك تأتي قوما من اهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة لا اله الا الله فان هم اطاعوك فاعلمهم ان الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة الخ الحديث •

تأقلم الصوفية

ان الصوفية في منهجها وسلوكها ضرب من السلبية والاتكال والانقطاع عن العمل للاكتساب المشروع ولنا في سيرة شيوخها الشواهد الكثيرة فهم حلساء الاربطة وقعداء التكايا •

اما شيوخها في تهامة ــ كما ستقرأ تراجمهم ــ فقد أقاموا الصوفية على طريقة شكل زعامي اجتماعي وسيادة روحية فرضت نفسها على القبائل والعامة •

كانت تهامة قد نشطت بها النعرات القبلية بعد ان تفككت اواصر الروابط الاجتماعية التي كونها الاسلام بين القبائل المتنافرة • وكان لبعد مركز الخلافة عن اليمن وتهامة ما أرث شيوع الفتن وتفشى المذاهب (١) والنزاعات التى كانت تنخر في الكيان الاسلامى وتفصم عرى وحدته وتفرق شمل مجتمعه فاطلت العصبيات باعناقها وبرزت ملامح الروح القبلية وتنبه الطموح الغافي في ورثة الاقطاعيات (٢) ولعجز السلطة الرئيسية للخلافة الممثلة في نوابها عن فرض سلطانها الفعلى فقد جاملت كل رئيس قوى وقنعت بالطاعة الاسمية وما يؤديه من بعض الخراج •

ويلاحظ على الرغم مماهو معروف عن الصوفية وشطحات أصحابها واتخاذهم من الاوهام والدعاوى كرامات أنها حولت ايضا الزهد المصطنع لسيادة روحية لعبت فيه دورا قياديا في سياسة العامة ومجاملة الخاصة وطد مركزها الروحى متذرعة بشتى الدعاوى والكرامات الوهمية •

---

(١) جاء فى كتاب ظهر الاسلام ج١ ص ٦٢ حول تفشى المذاهب والنحل فى الجزيرة العربية فى القرن الثالث ما يأتى :

« وطابع الفرس الفخفخة والظهور وقد ورثوا مدنية قديمة مملوءة بالتقاليد والأوضاع فطغوا عليها بمساوئها ومحاسنها فلهم :

١ ــ قدرة على نظام الحكم •

٢ ــ معرفة واسعة بمايزيد الثروة ويضعفها

٣ ــ عقول مثقفة تتذوق الأدب والعلم وتهتز لهما •

الى ان قال : وقد كثرت المذاهب الدينية القديمة عندهم من : (مانوية) و(زردشتية)

و « مزدكية » فكثرت فى الاسلام مذاهبهم من «زيدية» و «اثنى عشرية » و « سبعيـــة » وغيرها ، الى ان قال : « وزادهم ضغط الدولة « الاموية » عليهم وتحقيرهم تبـــلا كامنا الى الانتقام من العرب والاخذ بالثأر منهم فى غير لين ولا هوادة ، وعلمهـــم التشيع التقية ومكر الخفاء وأسسوا المؤامرات للقضاء على خصومهم هذا فى بلاد فارس الاسلاميـــــة »

« أما فى الجزيرة العربية فحسبنا الرجوع الى رحلة (المقدسى) الذى طاف ارجاءها فى القرن الثالث فأعطانا فكرة واضحة عن المذاهب السائدة بين اهلها فقال فى ص ٧٨ :

١ ـ مكة ـ تهامة ـ صنعاء ـ قرع : هم سنية ـ على مذهب السنة والجماعة ٠
٢ ـ سواد صنعاء ونواحيها مع سواد « عمان » شراة غالية ٠
٣ ـ بقية الحجاز وعمان وصعدة شيعة ٠

واذن نجد انه من القرن الثالث قد تفشت المذاهب في داخل الجزيرة العربية نفسهـا فأصبح اهلها فرقا وطوائف مذهبية وبطبيعة الحال ان كل فريق يؤيد مذهبه ويعمل جاهدا على شيوعه وغلبة سلطانه وتقوية نفوذه على ما عداه ـ وقد أغفل المقدسى من جملة المذاهب فى اليمن « الاسماعيلية » التى ترفدها وتحمل لواءها الدعوة العبيدية ونرجح انه اعتبرها ضمن الشيعة ـ انتهى ما أوردنا عن ظهر الاسلام مع تعليقنـــا فى آخره ٠٠ ولايبعد انه فى ذلك النزاع الواقع بين المذاهب والنزعات رأى طلاب السلامة واصحاب الزهد ملاذا فى الانزواء والبعد عن المعتركات فكان اعتناقهم التصوف على حالته المعروفة ، ما أشاع ذلك فى تهامة ثم تطورت على أيدى من جاء بعدهـــم الى سيادة روحية ٠٠

(٢) ورد فى كتابنا « الجنوب العربى فى التاريخ » ص ٧٨ ج١ تحت عنوان « قبائـــل تهامة « مايأتى : « بالرغم عن مضى خمسين ومائة عام تقريبا على قيام الامارة «الزيادية» فى اليمن فان نفوذ الاسر القوية لا يزال يتمتع بسلطانه ويظهر ان السلطة المركزية بزبيد اكتفت بخضوع رؤساء القبائل الاسمى مع دفع الخراج مقابل ان تحكم كـل أسرة من تلك الاسر عشائرها ، وقد سهل لنا « الهمدانى » مهمة الوقوف على ما نحن بصدده وكان يطلق على اولئك الرؤساء اسماء ملوك وعلى ضوء ذلك نوضح اسماء الاسر الحاكمة من رؤساء القبائل فى تهامة ٠

١ ـ غلافقة ـ المندب ـ المخا ومايتبعها ـ رؤساؤهم	آل ابى الغارات
٢ ـ زبيد وما يتبعها	آل نجـم
٣ ـ مور وما يتبعها	آل روف بن شهاب
٤ ـ بلاد حكم بن عبس الى صبيا	آل عبد الجد الحكمى
٥ ـ مخلاف عثر	قوم من بنى مخزوم او من مواليهم

تاريخ ودراسة لادوار الصوفية في تهامة

اذا استقرأنا تاريخ التصوف ورجاله في تهامة نجد أول المشاهير في رجالاتها هو (سود بن الكميت) قال (الجندى) ومن أهل الناحية ـ يقصد وادى مور ـ البيت المشهور بالفقه والعبادة والصلاح وهم بنو (سود) غير انهم شهروا بخلطة الزيدية حتى اتهموا بمذهبهم ـ هكذا ـ ونسبهم يرجع الى قهب بن راشد بن بولان ثم راح يضفى عليه نعوتا فضفاضة من الرؤى والكرامات ، وهذا هوجد آل (الكميت) المعروفين الى هذا التاريخ ومنهم الفقيه محمد بن يعقوب ابو حربة وغيره ممن ستقرأ تراجمهم

ولد الشيخ (سود (١) بن الكميت) عام ٣١٦ وتوفي عام ٤٣٦ وعلى ذلك فيكون عمر مائة وعشرين عاما وذكر صاحب تحفة الزمن ان (النزارى) وصفه بالحلم والبر والفضل وانه يغل من أراضيه سبعين حملا من (العطب) ـ القطن ـ فيتصدق بقيمتها ولا يأكل الا مع اصحابه في المسجد وانه خلف لورثته عشرة آلاف معاد من الاراضى الزراعية •

عاش هذا الشيخ في شيخوخة الدولة (الزيادية) وأدرك دور التحضير لثورة (الصليحى) وبين اشتعال الدولة المحتضرة والثورة المتحفزة وجد ما يشغل الطرفين عنه وصانعته الاولى حتى انها أعفت املاكه الواسعة من العوائد الحكومية وفي ذلك الجو المضطرب سادت قبائل تهامة الفوضى ودب فيها روح التمرد فاكتفت الدولة المنهارة بالطاعة الاسمية في كثير من النواحى القصية وعولت على تلزيم (الخراج) لمن يستطيع تحصيله بطريق ملتوية يسودها المصانعة بين الملتزم الحصيف ورئيس القبيلة القوى •• فكان للصوفية مجال ولرجالها الحصفاء في تهدئة الاحوال القلبية والوساطة بين المتخلفين وبين الحكومة الضعيفة والمتمردين البعيدين عن طائلة الحكومة مادة مسكنة وعقار مهدىء •

---

(١) من كتاب تحفة الزمن للاهدل •
(٢) بدأت حركة الصليحى بدعوتها السرية من عام ٤٢٤

وانتهت الدولة (النجاحية) الاولى على يد (الصليحى) فلم نجد فى مدته القصيرة اسم متصوف لامع وانتهت الامارة النجاحية الثانية وقام على انقاضها (على بن مهدى) وابناؤه وهو من غلاة المعتزلة فلم يكن للصوفية في نظامه الصارم مجال وانهارت دولة ابناء مهدى على يد (توران (٣) شاه) وهو على حزم ادارته ممن يرى في فتح الزوايا والخانقات والتكايا - شأن الاعاجم - مادة قربى وبركة في اعتقادهم فنشطت الصوفية من جديد ثم عاد الى مصر واضطربت الاحوال في عهد نوابه فوجدت في الجو المضطرب رواجا لسوقها وساعدها اشتغال السلطة المتنافسة على النفوذ عن كل أمر من امور الدين ، وفي عهد (طغتكين) وخلفائه كان كل همهم تثبيت سلطانهم واحتضان مدعي الصلاح والولاية للاستعانة بنفوذهم الروحى في استرضاء العامة بايسر السبل فاعفت اراضى شيوخ التصوف من الخراج وتقبلت شفاعاتهم وراعت جانبهم فيمن يلوذ بحرمتهم فاصبح لهم نفوذ روحى يساند سياسة السلطة الحاكمة ، وبحسب قوة شخصية المتصوف بعضهم يكون وجاهته وشفاعته لا يردها الملك لماله من نفوذ في العامة ويكون ممن يختص به ، وبعضهم لا يعدو أن يكون مختصا بأمير أو حاكم بلده ، فكان (محمد بن الحسين البجلى ومحمد الحكمى) ممن يقبل شفاعتهم الملك (عمر بن علي الرسولى) نفسه •

ويروى المؤرخ وطيوط بالصفحة ٧٧ القصة الآتية : -

قصد الفقيه محمد بن يعقوب امير المحالب متشفعا في رجل اخذ جمله فلم يقبل الامير شفاعته فخرج من الدار غاضبا وأخذ يتمتم ويشير باصبعه فأقبل (ابن المؤذن) - رجل من المتصوفة ، مختص بمصاحبة الامير - فقبض على يد الفقيه وسأله فاخبره بالامر فقال يا فقيه محمد هذا صاحبى وملتزمى - هكذا - ودخل الى الامير وطلب منه اخذ خاطر الفقيه واطلاق جمل صاحبه وحذره من (الصالحين) • ونفهم من هذه الرواية ظلم الولاة وعدم تورعهم عن أخذ مال الرعية وضعف ايمانهم بحيث يجعل له شخصية من الصوفية تمنعه - نسأل الله السلامة من ضعف الايمان - انه منع من قبول شفاعة الفقيه لانه لا يعرفه او نسى مكانته ويأتى بعد ذلك دور صاحبه متظاهرا بأنه حماه من دعاء (محمد بن يعقوب) ويرشده لما ينبغي من التوقي ، وهكذا يتعاون الصوفية سياسيا في خدمة صالحهم المشترك ويمثلون ادوارا بعضها من البساطة في حبكتها - كما مر بك - والبعض من الحصافة المركبة والسياسة العليا - كما سيمر بك ، وكلها من عمل عقول مرنة عرفت كيف لا تسود العامة فحسب ، وتؤثر على نفسيتها بل وعلى الحكام ومن فوقهم من ملوك وقتهم •

---

(٣) امتد سلطان توران شاه من ٥٧١ - ٥٧٤

القرن السابع ورجال التصوف في تهامة

اشرنا في الفصل السابق الى استفحال الصوفية في العهد (الايوبى) في تهامة ونلاحظ ان توران شاهاستولى على اليمن عام ٥٧١ هـ وان سلطانهم امتد الى عام ٥٧٤ وتلاهمعهد (الرسوليين) الذين ترسموا سياسة الايوبيين ، والايوبيون في اليمن كان همهم الاول توطيد الحكم وتثبيت السلطان اكثر من عنايتهم بأمر الدين واهتمامهم بالعقيدة الخالصة مع ميل خاص الى رجال التصوف فنجد أكبر المتصوفة وجدوا او بالاصح برزوا في القرن السابع وان كان منهم من كان موجودا فى الثلث الاخير من القرن السادس واشهرهم في العهد الايوبى :

١ ـ الشيخ محمد بن ابى بكر الحكمى المتوفي عام ٦٠٩ هـ

٢ ـ الشيخ محمد بن الحسين البجلى المتوفي عام ٦٢١

٣ ـ الشيخ على بنعمرالاهدل المتوفي عام ٦٠٢

٤ ـ الشيخ يوسف المكدش المتوفي عام ٦٣٠

٥ ـ الشيخ بلغيث بن جميل المولود عام ٥٥٦ والمتوفي عام ٦٥١

٦ ـ الشيخ البحر المتوفي عام ٦٤٠

اما اشهرهم في العهد الرسولى فهم :

١ ـ احمد بن موسى بن عجيل المتوفي عام ٦٩٠

٢ ـ اسماعيل الحضرمى المتوفي عام ٦٧٦

٣ ـ احمد بن عمر الزيلعى العقيلى المتوفي عام ٧٠٤

٤ ـ محمد بن يعقوب ابو حربة المتوفى عام ٧٢٤

ومن المفارقات ان تقرأ في التاريخ وستقرأ في تراجمهم المستقاة من حياتهم العملية والعلمية ما يخالف الكثير مما نسب اليهم في كتب المتصوفة وبعض المورخين فمثلا

(الفقيه (١) محمد بن الحسين البجلي) مـــن رجال الفقه والادب وينعت بالفقيه ، وكذا الفقيه (احمد بن موسى بن عجيل) من رجال الفقه والحديث، واسماعيل الحضرمي من رجال الفقه والحديث وقد تولى قضاء الاقضية في تهامة • اما البقية فهم من رجال الصلاح والتقوى كما يشهد لهم معاصروهم مع مسلكهم الصوفي وانما غلا فيهم الناس والغـــلو شرك أو بهرت العامة قوة شخصياتهم وتحكمهم فى اراداتهم ومن المقرر فى علم النفس ان الفرد الذى يتحكم في ارادته يكون لديه نوع من الرقابة الاداريـــة تمنحه ضوابط خلقيه تمكنه من ادراك غايات يحاولها وان المقدرة على هذا النوع من التصرف مـــن اسمى ضروب السلوك الادبى في انقياد الجماعات ، ان الانسان بطبيعته يحـــترم الذين يحترمون ذواتهم وان احترامه لغيره هو صورة منعكسة عن احترامه لذاته •

ونجد الانسان الجاهل خلوا من فكـــرة تعليل الاشياء ومدلولاتها وعللها ومقدراتها التى هى من تقدير العزيز الحكيم لادخل لفرد من البشر فى جلب النفع او دفع الضر لنفسه فضلا عن الآخرين وكل ما تستطيعه العامة في جهلها هو الاحساس والانفعال الذى يهيىء فيها التأثر بالافراد الذين يخالهم اقوى منه ارادة وأوسع عقلا وقدرة على التصرف في الامور التى فوق قدرة تفكيره المغلف بالجهل ، فيعتقد الجاهل انهم من الولاية بزعمـــه والكرامات في مفهومه البسيط بماهم فوق البشر ، فلا حول ولا قوة الا بالله •

---

(١) روى انه لما شاهد الراية الايوبية تخفق على رأس الملك وهو داخل فى موكبه الى اليمن للمرة الاخيرة ، قال هذه آخر راية للايوبيين تصل من مصر الى اليمن ، ولا يعلـــم الغيب الا الله وانما « اتقوا فراسة المؤمن » فالرجل كما ســـتقرأ من المعرفـــة بسياسة عصره وأحوال وقته وطبيعة وميول ومشاعر مجتمعه علاوة على صداقته لنور الدين عمر بن على نائب الملك وما يعلمه عن التمهيد الذى تم لوثبته ثم احاطته بمـــا قد وصل اليه سلطان الايوبيين فى مصر من الضعف وفى بعض حصون سورية مـــن الاضمحلال على كل ذلك بنى تقديره سياسيا فماذا قال العامة لا سيما عند ما عاد الملك المسعود بعد عامين الى مصر عودته الاخيرة وتوفى فى طريقه فى مكة المكرمة ؟ لا شك بل وكما يقول مؤرخو جهته انها من كرامته وكأنما الكرامات تصرف لهـــم من مستودع الغيب وسبحان من لا يعلم الغيب الا هو •

الصوفية ودورها السياسى

ألمغنا قبله الى الدور القيادى للصوفية في تهامة وهنا نشير الى دورها السياسى :

في اواخر العهد الايوبى شهرت شخصيتان (بالتقوى والصلاح) وقـوى نفوذهما الروحى ومن سيرتهما التى سوف تمر بالقارىء سيدرك انهما كانا من حصافة العقل والدراية التامة بسياسة عصرهما وطبيعة مجتمعهما ونفسية اهل وقتهما بكل ما يؤهلهما للزعامة ، والقوم آنذاك وبالاخص في البادية مادة القوة ومنطلق الطاقة في تهامة من سذاجة التفكير والجهالة بحيث لا تستطيع تفسير التفوق الادبى والتسامى العقلى بغير نسبة ذلك الى الصلاح والكرامات والولاية المزعومةفاستغلا ذلك فىالتأثير علىالجماهير من النواحى الروحية والسياسية ٠

عرف ذلك الشاب المتطلع لملك اليمن (عمر بن على الرسولى) وهما قد تنبآ له بالملك مايمكن لطموحه المتطلع من الاستفادة من نفوذهما الروحى فاخذفي مجاملتهما وتقديرهما وكانا عند قدوم مساح الارض الزراعية لتقدير الخراج على المزارع يكتبان أغلب أراضى اهل جهاتهما باسم احدهما تارة وباسمهما اخرى واصحابهما يدفعان لهما ما تقرر على المزارع ثم يأتى دور الاستحصال من قبل الدولة فتحصل لهما المساعدة الكبيرة ـ لماعرفت ـ اما (ذلك الشاب فقد بلغ من رغبته في اصطفائهما لنفسه انه يعفيهما مما يسجل باسميهما وقد يبلغ ذلك الى خمسة عشر الف دينار ، وادركا بلا شك مطمحه البعيد فأخذا يروجان (٢) قالتهما السابقة له بملك (اليمن) ويشيعان ذلك سرا ، ثم يذيعانه مقدما لتهيئة النفوس والعقول لوثبته ٠ وشاعت كلمتهما فتقبلها الناس بالترقب والامل ، وعرف لهما مغاونتهما الروحية التى اذكت روح الامل فيه وهيأت نفوس الشعب ٠

---

(١) تحفة الزمن

(٢) تاريخ وطيوط ص ٧٣ كما اشار الى ذلك صاحب تحفة الزمن فى عدة مواضع (مخطوطان) وجاء فى كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجى ص ٨٧ ج ١ : « وكان عمر بن على الرسولى يصحب الشيخ والفقيه صاحبى عواجة (يقصد البجلى والحكمى) وهما ممن يشدانه فى الملك » ويظهر ان تلك النبوءة المزعومة قديمة من أيام ولايته للمناطق للايوبيين لانا نلاحظ ان « الحكمى توفى ٦٠٩ والبجلى توفى عام ٦٢١ » ٠

من هو عمر بن على الرسولى ؟!

بطبيعة الحال لم تكن فراستهما اعتباطا من رجلين خاملين لا يقدران الامور ، اجتماعيا وسياسيا ، وليس عمر بن على الرسولى بالرجل الصعلوك المجهول ، وانما هو الرجل الذى له كل مؤهلات الملك ـ في وقته ـ وهو احد خمسة اخوة نجباء قادة من قواد الجيش الايوبى دخلوا اليمن مع والدهم (شمس الدين على الرسولى) فبرز الاخوان فى ميادين الحرب كما برزا في ميدان الادارة ـ راجع ص ١١٩ و ١٢٠ من كتابنا (دراسة وتحليل لديوان الشاعر هتيمل) ـ وعندما وصل الملك المسعود من مصر الى اليمن عام ٦١٢ كان الخمسة الاخوة في امارات المناطق المرموقة فخفوا الى تقديم ولائهم للملك القادم فكانوا في طليعة رجال عهده بعد ذلك وفي سنة ٦١٤ اناط ولاية (صنعاء) ببدر الدين الحسن بن على الرسولى كما أناط ولاية (وصاب) واعمالها بنور الدين عمر بن على الرسولى ثم نقله الى ولاية (مكة) مدة ثم استقدمه الى اليمن فجعله (اتا بكه) ومتولى أمر عساكره وفي سنة ٦٢٠ عاد الملك (المسعود) الى مصر وأنابه على تهامة كما أناب أخاه بدر الدين الحسن على صنعاء وظل على نيابته الى عودة الملك المسعود عام ٦٢٤

وفى شهر ربيع الاول عام ٦٢٦ توجه الملك (المسعود) عائدا الى مصر وأناب على (نور الدين عمر بن على الرسولى) وتوفي (المسعود) في (مكة) في جمادى الاولى من تلك السنة وسنحت الفرصة (لنائبه المتطلع الى الملك فتم له ذلك)

وعلى كل فما تفرسا به ـ ان صح عنهما ـ فذلك من علم الفراسة ودربة السياسة لا مما اعتقدته العوام من الكرامات الموهومة ، وقد قدر لهما (عمر بن على الرسولى) موقفهما في حياتهما وساعدهما تقديره الى رفع منزلتهما فاصبح يرفد مقامهما الروحى العطف الملكى والتقدير الحكومى فتضاعفت الفتنة بهما وزاد ذلك العامة تعلقا بهما ونال الوجاهة والتقدير خلفهما من الدولة التى اعترفت بمناصرتهما اجيالا وزاد الافتتان بهما احياء وبقبريهما امواتا •

فهل وقف امر هذا الافتتان عند ذلك الحد ؟ لا ! فالصوفية في تهامة زعامة سياسة تمثل ادوارها البارعة على مسرح الاحداث ويستخدم السياسة رجالها البارعون في التأثير على الجماهير ويقوم المتصوف بالدور المطارب وعند نجاح المسرحية يحوز اعجاب الجمهور وهذا الاعجاب يتمثل في زيادة تعلق العامة بولايته وصلاحه المزعوم وينال

تقدير الدولة متمثلا باعترافها بمركزه وتكريم شخصه وتقدير مكانته وقبـــول شفاعته واعفاء من يلوذ به من الخراج وهكذا ..

وفي عام ٦٣٧ توفي الملك عمر بن على الرسولي مقتولا على يد مماليكه في مـــــدينة « الجند » ـ راجع كتابنا (الجنوب العربي في التاريخ) ص١١٤ج١ وكان من المتآمرين مع(مماليكه) ابنا اخيه والاول على ولاية صنعاء والثاني على ولايـــة (فشال) وسـار القاتلون الى فشال الى اميرها المتآمر معهم . وكاد الامر ان يتم للاميرين المتآمرين . لان ولى العهد في اقطاعيته في المهجم ـ بعيدا في الشمال ـ عن (الجند) مقر والده وعن تعز عاصمتهم السياسية وعن زبيد عاصمتهم الثانية وكل العتاد والخزائن والجيش هنـــاك وفشال المتركز بها ابن عمه ـ المتآمر الثاني ـ تعترض طريقه لو أراد التقدم وأين هي القوة التي يتقدم بها ، وولى العهد (المظفر) من الذكاء الخارق الذي بوأه ـ بقدرة الله ـ تولى الملـــك اكثر مـــن اربعين عاما وسع في خلالها رقعة ملـــكه الى الحجاز وظفـار والاما حينذاك هو في الازمة الماحقة ولابد من التدبير السريع والاستعانة باية وسيلة وفي تلك الناحية (بلغيث (١) بن جميل) الذي طال عمره بعد جيله من المتصوفة واصبـح بحكم خلو الجو الرجل الاول في التأثير على عامة القبائل في تلك الجهة فاستماله وهب

---

(١) جاء في تاريخ الاهدل المسمى تحفة الزمن : (فوصل المظفر الى الشيخ بلغيث بن جميل فأقام عنده اياما طالبا مساعدته فبشره بالملك وعقـــــده له = هكذا = ويحكى انه طلب من المشايخ بني القرابلي ومشايخ سردود وهم من قبيلة المقاصرة وحثهم على نصرته » ويقول الخزرجي في كتابه العقود اللؤلؤية ص ٨٩ ج ١ « فلما بلغ المظفر بقتل والده تحير وضاق به الامر لما عرض له من الحوادث الجسيمة من قتل والده وانحياز المماليك بأسرهم الى ابن عمه فخر الدين وحصارهم لزبيـــد وأسد الدين بن عمه الثاني ـ في صنعاء وقيام الامام احمد بن الحسين في الجبال العليا واستيلاء اخويه المفضل والفائز على الحصون والخزائن . ولم يكن في يده الا قائم سيفه الا ان القلوب مملوءة بمحبته ، فقام وشمر واستخدم من القبائل خيلا ورجلا وخرج من المهجم باشارة الشيخ ابي الغيث بن جميل وسار الى زبيد بجـد وجد وسعد وتوفيق ، وقد اورد المؤرخ وطيوط اكثر مما اورده الاهدل عن ابـــن جميل وهكذا يتضافر المؤرخون بين تصريح وتلميح على ترويج الدعاية وافتعـــال الكرامة المزعومة لشخص عاجز من مخلوقات الله لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعـــا وبتلك القصة الملفقة فسروا في كتبهم ان بن جميل حامي الدولة الثاني كما يقول

الشيخ يحث القبائل على مناصرته والالتفاف حول رايته ـ وكان المظفر بصفته ولي العهد والوارث الشرعي للعرش ـ تعوزه في تلك الصدمة المباغتة الخطوة الاولى والتشجيع المخلص فما سمع الناس انه خرج من المهجم على رأس جيش من القبائل حتى اقبلوا عليه وعرف هو بعد تلك الخطوة كيف يلعب دوره حتى وصل المماليك القتلة بابن عمه اسيرا يقاد فهل في هذا ما يستدعى الغلو في شخص أو ان ينسب فيه اليه أمر خارق للعادة ؟ الجواب بالبداهة : كلا ! وانما العامة واشباه العامة روجوا ان ذلك النجاح بمساعدة ـ أو على حد تعبيرهم ـ ببركة ابن جميل وعلى كل فلا شك ان (المظفر) قد قدر موقفه فزاد ذلك فى فتنة الناس بذلك المخلوق وقوى مركزه ومات فاتخذ الناس من قبره وثنا ها هو يزار الى اليوم •

ولم يقف الامر عند (الايوبيين) و (الرسوليين) بل تعداهم الى غيرهم فان المؤرخ (الخزرجى) يذكر في « العقود اللؤلؤية » ص ١٠٨ ج١ قوله : (ثم قام الامام احمد بن

المسيحيون القديس فلان حامي رومة أو لندن ولا حول ولا قوة الا بالله ونسأل الله العصمة من الفتنة •

ويقول الفقيه حسين الاهدل فى كتابه تحفة الزمن فى تاريخ سادات اليمن ما يأتي « ويحكى أن أصحاب الشيخ الحكمي والفقيه البجلي كانوا يزرعون واديا وضاحيا وكانا ـ أى الشيخ والفقيه ـ يتوجهان فى مكاتب الجميع فيحملها الامراء والنواب وكان على بن « رسول » وكيلا على أمراء « الكدراء » فصحبهما وأحسن اليهما فبشره الحكمي بالملك فى ذريته » الى أن قال « كان عمر بن على بن رسول مشدا مستخلصا لمال وادى سهام فوجد على الفقيه والشيخ مكتبا بخمسة عشر ألف دينار وكان قبل ذلك يحمل ما عليهما ويحاسب به من سببه فقال لهما أما هذه السنة فلا يقوم سببى بهذا المال ولكن توجها فيه الى الملك فقال له الحكمي ألا تحمله أنت وتشترى به ملك اليمن فقال بلى ، فقال احمله على أن لك ملك اليمن فحمل ذلك فصح له ثم عقد الشيخ بلغيث بن جميل الولاية للمظفر ثم صحب الفقيه اسماعيل الحضرمى وعقد له وكتب له بخطه بذلك ولولده من بعده ما تناسلوا فيما يحكى والله أعلم بحقيقة الامور •

أنظر أيها القارىء الكريم الى ما يدون فى التاريخ من أوهام وأساطير (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير) فهل بعد هذه الآية الكريمة دخل فى ملك أو غيره لاحد ؟ انه مخلوق لا يقدر على جلب الخير أو رفع الضرر عن نفسه فما هذه الفتنة العمياء والضلال المبين؟؟

الحسين المهدى ، بدعوة امامة الزيدية في الجبال ، وبلغه ان الشيخ بلغيث مقبول الاشارة مسموع القول كتب اليه طمعا في ميل اهل تهامة كتابا صدره بقوله تعالى : (قل ياأهــل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقل اشهدوا بانا مسلمون) ثم قال - في الكتاب: القصد يا شيخ الاجتماع على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والسلام •

فأجابه الشيخ : (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الحمد لله خالق الاصباح ومرسل الرياح الى فسحة عالم الاشباح والصلاة والسلام على سيد الانام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه السادة الكرام • اما بعد وصلنا كتاب السيد يدعونا لاجابته ولعمرى انها طريــق سلكها الاولون واقبل عليها الاكثرون • غير انا نقر منذ سمعنا قوله تعالى (له دعوة الحق) لم يبق فيهـا متسع لاجابة الخلق فليس لأحد منا ان يشهر سيفه على غير نفسه ولا ان يفرط في يومه بعد امسه فليعلم السيد قلة فراغنا لما رام وليبسط العذر والسلام • (١)

ونلاحظ ان السياسة باسم الملك تارة وباسم الدين اخرى تستميل الصوفية لهــدف الحكم وصولة الامر وهى تدل بمكانتها وتميل بجانبها ، وتتحرى المرتع الخصب، وتتخير الكفة الراجحة •

وتمضى الاعوام ويبرز متصوف جديد من اسرة قديمة فى تلــك الطريقة - اسرة الكميت - التى عرف فرع منها بـ (آل ابى حربة) وهذا المتصوف الجديد هو ابو بكر ابن محمد بن يعقوب ابو حربة بن الكميت ، ويستهويه ما حظى به من قبله من مقــام وشهرة من طريق زج التصوف في السياسة فيهب خببا ليقوم بدور جديد •

---

(١) ولاشك ان القارىء سيلمس صيال السياسي الراغب فى اجتذاب الشيخ، وانظر لقول الامام بعد الآية الكريمة « والقصد يا شيخ الاجتماع على الامر بالمعروف » الخ•• ونلاحظ أن رسالة الامام بعد أن نجح المظفر فى القضاء على المماليك القاتلين لابيه وقبضه على أحد متزعمى المؤامرة وهو ابن عمه « فخر الدين » وقد نال الشيخ بلغيث ثمار ما غرسه من موقفه وأصبح يرى أن الظفر الكلى سوف يتحقق للملك وشيكا اننا نلاحــظ ونلمس من اجابة الشيخ أنها اجابة سياسي مرن لا متصوف خامل ولنترك للقــارىء الحصيف الشرح والتفسير • ولو أردنا أن نستقصي الشواهد لضاق بنا المجال وانمـا نكتفى بهذا الايضاح المبسط تبصرة وذكرى وجلاءا لبصائر الجيل الصاعد لتيسر لــه الدراسة العملية لازالة ما تمثل من الرواسب الدخيلة ولمعرفة اولئك الرجال الذين أحيطوا بهالة من القداسة ونسب اليهم حتى العلم بالغيب ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم•

(ثورة محمد بن نور بن ميكائيل)

قام ابن ميكائيل بثورته ـ راجع كتابنا الجنوب العربى في التاريخ ص ٢٢٩ ج ١ ـ واتفق مع امام الزيدية في وقته ، ووفق بعض التوفيق وتقدم الى (مور) وركدت ريحه ورأى الاستعانة بأحد رجال المتصوفة لاستمالة القبائل وفي ذلك العهد قد شهر أمر (أبى بكر ابن محمد بن يعقوب) ـ المذكور ـ ومثل دور الولايـــة المعروف ـ وكأنه لم يصب التقدير الذى يتوق اليه من (الرسوليين) الذين انصارهم المتصوفة السابقون ثم خلفهم وان لم يكونوا في مركز أسلافهم المرموق الا انهم على كل حال موضع تجلة وتقدير من الدولة والعامة • وتم الاتفاق بين الثائر والمتصوف الذى بادر الى تأييده وحض القبائل على مناصرته والتكهن بزوال الدولة الرسولية وقيام دولة ابن ميكائيل ورأى ابن ميكائيل ان دور الكلام لم يأت بالنتيجة المرجوة فارسل جيشا لاحتلال (زبيد) ومعه الشيخ أبو بكر بن محمد بن يعقوب) ليبارك الجيش وتقدم الجيش وهزم هو وشيخه من تحت اسوار زبيد وكانت تلك الهزيمة المسمار الاخير في نعش ثورة ابن ميكائيل • ولا يسعنا الا ان نورد التعليق الآتى للمؤرخ (وطيوط) بنصه الحرفى بالصفحة (٧٢) قال: (انه رأى البجلي والحكمى يناشدانه الا يحل ما عقداه) وكأنه نسى ما سجله فأعاد القصة في الصفحة ١٤١ باسخف مما قبله فقال : (لما أقبل ابن ميكائيل ومعه الفقيه ابو بكر بن محمد بن يعقوب وكان معــه ممن ضمن لابن ميكائيل فتح زبيد فلقيه ابراهيم بن محمد بن عجيل وقال له تقول « انك تريد تميت دولة بنى رسول وتقيم ابن ميكائيل ، فلما هزم الجيش قال الناس ان الفقيـــه ابراهيم بن محمد عجيل سلب الفقيه فوقع بين بنى العجيل وبنى حربة شيء في النفوس ولم يكن (وطيوط) الغارق في هذا البطلان وحده بل نجد صاحب (تحفة الزمـان) يقول عن عقد الحكمى والبجلى لعمر بن على الرسولى ما سبق الاشارة اليه بل قـال في ص ١٨١ : ثم عقد ابو الغيث بن جميل الولاية للمظفر الخ •

هذا هو بعض دور الصوفية السياسى في مقدرات (تهامة) اما دورهم مع العامة فاشــد فتنة نسأل الله العافية •

الزعامة الروحية ونفوذها الاجتماعى

لقد كان للزعامة الصوفية مكانة تذعن لها الرقاب وتوهب لرجائها الدماء ويكف لوساطتها القتال بين القبائل وان الدولة او الامارة ترى فيها اداة تخدم سياستها الواهية ، والدولة ـ كما اسلفنا القول آنذاك لم تكن تحرص على اقامة التوحيد الخالص وتنقيته من البدع وليس لهامبدأ سياسى مدروس، تفرض الاول أو تحاول تحقيق الثانى فهى نفسها ترى فيه مجاملة مدعى الولاية من المتصوفة ظهيرا لسياستها المرتجلة الواهيه ، فتقديرها لشخصية المتصوف يسهل عليها احتضانه وسهولة انقياد كل من يذعن لسيادته الروحية ، فغدت البادية فى شبه عزلة بعيدة عن سلطة الحكومة الفعلية ماعدا اوقات استحصال الخراج فتجرد شبه حملة ترافق هيئة استحصال الخراج ولا تباشر عملها حتي تقصد اولا زاوية (المتصوف) او داره وتكتب عليه مبلغا جزيلا باعتبار انه احتمل ذلك عن العاجزين أومن يلوذ به ، والنهاية مفهومة ، تعفيه الحكومة ـ وقد مر بك ايها القارىء الكريم ما كان يسامح به (البجلى) و (الحكمى) ولا نريد الاستقصاء وانما نكتفى ببعض الشواهد : جاء في تحفة الزمان للاهدل ان أبا بكر بن محمد بن ابى حربة كان يدخل ديوان الخراج فى اسمه عشرة آلاف دينار وربما خمسة عشر الفا فقال الملك المؤيد : اجعلوا بيننا وبين هذا الرجل حدا نعرفه من المسامحة فاعلم الوالى (الشيخ) فامتنع من التحديد ، ويقول الاهدل ان الفقيه ابا بكر بن احمد الزيلعى العقيلى استوهب من بعض القبائل اربعة عشر قتيلا فوهبها ولم ينزل عن دابته بل ان زواياهم لها حرمة لا تنتهك وفى وقعة الاربعاء المعروفة التى دارت رحاها بين الامير (عبد الوهاب القطبى و (الاتراك) في ابى عريش والتى بلغ القتلى فيها من اهل المخلاف اكثر من الفين عند ما انهزمت القبائل لاذوا بصفف (آل الحكمى) فكف عن كل من لاذ بهم .

بل أن أمير حلى عندما غزا المخلاف وقضى على جيش أمير المخلاف الذى تصدى لقتاله تقدم ظافرا الى ابى عريش وضرب مخيمه الرئيسى في ساحتها ومن ثم تأهب لغزو

العاصمة (جازان العليا) وترك ثقله وحرمه في المخيم وانما خانه الحظ وهزم تحت اسوار العاصمة هزيمة نكراء وقطع عليه خط الرجعة الى مخيمه ففر بطريق (الحازة) ناجيا بنفسه وفلول جيشه واقبل جيش امير المخلاف السليمانى المنتصر للاستيلاء على المخيم واسر الحرم فخرج (الشيخ المهدى بن الهادى الحكمى) الزعيم الروحى في عصره واخذ زوجة الامير ومن يلوذ بها الى داره مكرمة مصونة •• وظلت لديه حتى جاء موسم الحج وجهزها الى وطنها ـ راجع التفصيل في كتابنا (المخلاف السليمانى او الجنوب العربى في التاريخ •



(الدور التقريبي الذي يقوم به المتصوف الزعيم)

نستشف من دراستنا للمراجع التي تحت ايدينا ان (المتصوف الشيخ) هو في عرفهم قطب الزمان وصمام الامان في ذلك العصر فمركزه غالبا ما يكون وراثيا وفي بعض الحالات نتيجة لتتلمذ مريد لشيخ معروف (١) ثم الباسه (الخرقة) : الخرافة المشهورة ثـم نصبه ـ وسيأتي بحث ضاف عـن المناصب ـ فيبنى الشيخ زاوية ويلتف حـوله عدد من الفقراء ويمارس ضروبا من الخلوة والاعتزال ويمرن الفقراء على الأوراد والادعية بعد كل فريضة وفي غير أوقاتها ويقيم ما يسمونه حلقات الذكـر واجتمـاع السماع المعروفة عن الصوفية، ويعيش واياهم على ايرادات النذور وهبات الفتوح وبر الزوار من طلاب البركات وملتمسي الشفاء وقضاء الحاجات بزعمهم ويصلح بين من يرتضي صلحه من القبائل وفي أي مشكل يعتبر قوله الفصل وتستقبل الزاوية وفود الزوار يوميا ومـع كل زائر فتوحه أو نذوره من المواشي والحبوب والنقود وقد تتلخص دائرة عمله فيما يأتي :

١ ـ تطبيب المرضى بطريقة التأثير الروحي وقوة الايحاء والبخ بالماء او النفث .

٢ ـ الاصلاح بين القبائل المتنازعة .

---

(١) تاريخ وطيوط ص ٢

وقد كانت الزعامة الروحية وراثية غالبا فقد استمرت قرونا في (آل الاسدى) في جهة « الحدية » في أبناء بنته . وقال « اليافعي » في كتابه (نشر الريحان) : ان أباهم من اهل (موزع) وقال : (أذا ذريته من صلبه فهم في بلدهم ـ يقصد المخلاف السليماني وأكثرهم في موضع يسمى (العريش) بقرب « جازان » وستقرأ في قسم التراجـم العلمية والادبية أسماء شخصيات مشهورة من آل الاسدى في المخلاف السليماني . انتهى . كما استمرت تلك الزعامة الروحية أو المنصبة في أبناء (البجلي) و (الحكمي) و (الزيلعي) و (المكدش) و «بني العجيل وبني حربية وبني الحضرمي » قرونا أما بنو الاهدل فلا تزال فيهم الى هذا التاريخ ونجد مؤرخي تلك العهود ينعتونهم بنعت السيادة فيقال السـادة آل الاهدل . كما يقول المؤرخ « وطيوط » في الصفحة ١٨ السادة بنو المكدش . كما يقول في الصفحة ١٠٠ وص ١٤٥ : السادة بنو العجيل وفي الصفحة ١٧٦ السادة آل الحضرمي

٣ ـ استقبال الزوار وضيافة الوافدين وتوجيههم لزيارة قبر سلفه أو أسلافه •

٤ ـ القيام باعاشة (فقراء) الزاوية

٥ ـ الاشراف على الموسم الرئيسي السنوي لزيارة (الولي) وقراءة (مناقبه) في الحفل الليلي وفي مثل تلك المواسم يأمن الطريق مهما اضطرب الامن وتقام الاسواق وتجلب السلع وتنتعش الحالة الاقتصادية نسبيا وتنثال على المنصب (الفتوح) ونذور الموسم والذبائح والحبوب بحيث تغطى ضيافته للوفود ويتوفر الباقي وايرادات الموسم هى الايرادات الرئيسية عدا الايرادات العادية التى أشرنا اليها آنفا ••

كما يقول صاحب العقيق بالصفحة ١٠٥و١٦١ السادة آل الحكمي ، وجاء في كتاب تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن للاهدل عند ذكر الشيخ « المقرى بن شرحبيل : « انه لما مات الشيخ محمد بن عيسى بن حجاج وصل رجل عراقي يزعم أنه من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني فقال : لا ينصب الشيخ أبا بكر بن محمد بن عيسى بن حجاج الا أنا، فأنا أولى به من غيرى فتحير الشيخ المقرى فى ذلك • ثم ذكر كلاما خلاصته ان المقرى تفوق على العراقى ونصب الشيخ أبا بكر بن محمد بن عيسى بن حجاج • ثم يستطرد المؤرخ الاهدل فيشرح لنا قواعد التنصيب وأصوله لديهم ، فيقول : « ان الغيثية ـ يقصد المنتسبين الى بلغيث بن جميل ـ يقولون : نحن أولى بنصب بعضنا من ذرية (الجيلانى) و(أفلح) و(الاهدل) وليس هذا من الادب ولا ينبغى لاحد الصوفية ان يقول : أنا أولى بنفسى من ولد شيخى فى أهلية النصب ، بل ينبغى ان يلتمس أخذ اليد منه أو الاذن فى ذلك وحضور ذلك تبركا ـ هكذا ـ وأدبا لا سيما اذا كانوا على اسناد ، فان سند الخرقة كأسانيد الحديث ـ أنظر رحمك الله الى هذا الهذيان ـ والعلماء والشيوخ يحرصون على علوه ويقولون قرب السند قرب من الله ـ لا حول ولا قوة الا بالله ـ وذلك أنه اذا كان بين الغيثى مثلا وبين الاهدل وابن افلح ستة رجال وبين الاهدل والافلحى وبين جده المذكور أربعة رجال مثلا أو خمسة فأولى له أن يأخذ اليد من الاهدلى والافلحى لعلوه برجل أو رجلين وان كان قد أخذ من (الغيثى) الموصوف حفظا لسلسلة الغيثية والأنفة تنافى آداب الشيوخ ويدعو أن ينفعه الله بهم ، أرأيت لهذا الهذيان المحموم غفرانك اللهم • ويقول فى ص ١٠٠ « وأما أبو القسم بن عمر الكبير الاهدل فأخذ اليد عن عمه أبى بكر ابن الشيخ على بن عمر الاهدل واليه كانت الاشارة بالنصب والتحكيم • ويقول المؤلف انه أخذ يد التصوف من يد أبى بكر بن أبى القسم الاهدل ثم أخذها من ابنه أبى القسم ونصبه شيخا » أما بعضهم فيأخذ الزعامة المنصبة بالتتلمذ كما أخذها بلغيث بن جميل من الاهدل •

اما عدد فقراء ـ الزاوية ـ فيتفاوت بحسب مكانة الشيخ وسعة منطقة نفوذه وهـذا احصاء لفقراء الزوايا في القرن السابع وقد أشرنا في الهامش الى المصادر •

عـدد

٣٠٠ فقراء الشيخ الاسدى (١)

٥٠٠ فقراء الشيخ على بن عمر الاهدل (٢)

١٠٠ فقراء الشيخ احمد بن عمر الزيلعى (٣)

١٠٠ فقراء الشيخ بلغيث بن جميل (٤)

ومن دراستنا لاحوال زعماء المتصوفة في القرن السابع وما بعده نـرى ان الزعامة الروحية قد درت على الكثير منهم اليسر والغنى وان كان بعضهم عاش لينفق دخله الكثير في سبيل ما ينفقه على الوافدين والزوار • ودراستنا هنا لزعمائهم المشاهير الذين حفظ لنا التاريخ ما يستعين به الباحث للدراسة والبحث الجاد ومن ذلك ما نورده مشيرين الى مصادره عن يسار وغنى بعض زعماء الصوفية ودخلهم المادى •

١ ـ سبق أن اشرنا الى حالة المتصوف (سود (٥) بن الكميت)وانه كان يحصل على غلة من القطن قدرها سبعون حملا ويتصدق بقيمها ، عدا اراضيه الزراعية الاخرى التى خلفها لورثته ومساحتها عشرة آلاف معاد وكانت في حياته معفاة من رسم المساحة : « الخراج »

---

(١) تاريخ وطيوط ص٢

(٢) تحفة الزمن للاهدل

(٣) تحفة الزمن للاهدل •

(٤) ذكر الاهدل بالتحفة ان الشيخ على الاهدل « بعث بلغيث بن جميل ليفتح زاوية فى بيت عطا وأصحبه بأربعين فقيرا » وانما بعد وفاة الشيخ الاهدل اتسعت زاويته وكثر مريدوه وفقراؤه •

(٥) تحفة الرصد تأليف حسين الاهدل

٢ ـ أما الفقيه محمد بن الحسين البجلي فهو يملك (٦) وادى شريان عدا مزارعه مرسى في موضع يسمى «رمانا» وعدا ماينهال عليه من النذور والفتوح وماتعفيه الحكومة كل سنة مما يكتب باسمه من مزارع اهل جهته وقد يبلغ خمسة عشر الف دينار •

٣ ـ ان حفيده الشيخ الحكمي وهو (الشيخ عبد الله (٧) بن يعقوب) منصب (آل الحكمي) في (عواجه) قد بلغ من اليسار والغنى ماتشهد به القصة الآتية :

كان يوما في مزرعته المسماة « المرتفق » يشرف على الحصاد فوصله الكثير من الناس يرجون بره بمناسبة حلول العيد فاعطى كلا منهم ما يلزمه للعيد من الطعام واللحم والسمن وغيره الى الحطب •

٤ ـ ويذكر المؤرخ وطيوط أن الشيخ محمد بن عمر النهارى كانت تنهال عليه الفتوح والزوار من السهل والجبل •

٥ ـ أما محمد بن موسى (٨) بن عجيل فقد كان من سعة الغنى بحيث أعطى أحد قاصديه مائة وخمسين رأسا من الابل •

٦ ـ ان الفقيه المتصوف عبد العزيز بن حجاج (٩) كانت ايرادته من الفتوح بالثلاثين والاربعين حملا من الحبوب هذا من الجبال عدا ما يأتيه من تهامة •

٧ ـ ان الشيخ محمد (١٠) بن قيراط كانت تأتيه الفتوح من الاقطار من الملبوس والنقد والطيب والتحف وكان ينفق كل ذلك في حاجة ذوى الحاجة •

٨ ـ ان الشيخ يوسف محمد العجيبى ـ من اهل الحقار كانت تنهال عليه الفتوح الكثيرة وان غلته من مزارعه تبلغ الف عجرة من الطعام ـ اى (٢٠٠٠) اردب « كيس » ودخله من الفتوح مثل ذلك وربما استضاف المائة والمائتين وانه اذا جلس فى أى وقت اشتغل فقيره ـ اى تلميذه ـ بتناول الفتوح من الدراهم والثياب والقهوة والحبوب والدقيق والتحف فلا يزال يقبض حتى يقوم الشيخ •

٩ ـ ان الفقيه الشيخ اسماعيل بن ابراهيم بن موسى بن احمد العجيل اتسعت احواله

---

(٦) تاريخ وطيوط ص ٤
(٧) المصدر نفسه ص ٥٥
(٨) المصدر نفسه ص ١٤٠
(٩) تحفة الزمن للأهدل
(١٠) العقيق اليماني فى تاريخ المخلاف السليماني ص ٢٠٥ والشيخ ابن قيراط من اهل قرية العقدة وستقرأ ترجمته ضمن تراجم الصوفية

المادية جدا ويقول المؤرخ (وطيوط) ص ١٤٣ : (انه كسب دنيا واسعة وساد سيادة روحية عظيمة ولا اتسع احد في الحرث ـ الزراعة ـ مثله ، في اودية زبيد ورماع وسردود وذؤال وسهام حتى قيل ان غلاته من ذؤال وما قاربها عشرة آلاف عدلة ، وكان الملك اذا نزل ـ الى مدينته ـ يقدم له :

١٠	رؤوس من الجمال
١٠	رؤوس حمير مسارى
٤	رؤوس من الخيل
١٠	احمال برعم
١٠	احمال عصارة
٣	احمال عسل
٣	سمن
٢٠	حمل من الذرة عليق للخيل
٢٠	رأس من الرقيق

ثم يحمل له ضيافة تجل عن الوصف ـ عدا ما يقدمه ـ للوزير وشد المشدين وللزمام وامير جندار وللامراء على مراتبهم ، ويقول : انه وقعت مجاعة فكان الشيخ يدخل الفقراء المنقطعين بعد ان يذبح لهم رأسين من البقر مع الطعام والتمور الخ ..

ومن الطبعى أن الانفاق يحتاج الى ايراد ، ومما قدمناه ـ مشيرين الى مصادره ـ يبدو أنه يكاد دخل بعضهم يكون بقدر دخل الخراج الحكومى لمنطقة ـ على الاقل ـ لا دخل فرد وما اوردناه كشاهد والا فالمجال يستوعب كراريس . وكل زعيم صوفي يكون له شبه اقطاعية يشملها نفوذه الروحي ويصله خراجه الى بيته بدون جباة ولاجنود فهى ايرادات ثابتة ترده الى زاويته بدون رواتب جباة ولا مصارفات ونفقات .

والصوفية تحث الناس على التزهيد لاالزهد والاتكال لاالتوكل وهى لاتباشر سلطاناولا أمرا الا اذا دعيت للتدخل فى فتنة قبلية تدخلت لتهدئة الحالة وتحترم وساطتها ويقدر مسعاها ، وهى في المجتمع داء لا دواء وعقار مسكن لا علاج حاسم .

وفي مجتمع مثل ذلك يتفشى الجهل وتستشرى الفتن وتزداد البدع ومن ذلك الشخص

يلتمس الدعاء ويتطلب الشفاء وتستمطر البركات واذا حزب أمر شخصا فزع لذلك الشخص الذى هو مثله لا يملك نفعا ولا ضرا •

وزعامة كتلك في مجتمع لم تتهيأ له وسيلة التعليم ولا هدى الدين القويم ونهجه الى الصلاح والفلاح فى الدنيا والدين زعامة زائفة ، تخدر جسم المجتمع وتضلل عقوله وتخمد جذوة طموحه وتجعله يركن الى الكرامات ويؤمن بالمغيبات فيعيش مخدر الاعصاب خامل الهمة ، قانعا بالعيش عن كل متطلبات الحياة الرفيعة ومتطلبات السيادة والمجد ، لذلك نجد في جزء من وطننا العربى الكبير قطرا معروفا اهله بالنشاط الاقتصادى والعزم والجد في جمع المال مع اتصافهم بكل مزايا إخوانهم أبناء العروبة وانما سادت فيهم روح القطبية وطرائق الولاية والصوفية واشادة القبب والمشاهد للزيارات والتبرك وتحزبت قبائله كل قبيلة لولى ، فمضى عليها ما يقرب من تسعمائة سنة لم تقم لها دولة ولم تنهض لها حكومة وطنية قوية حتى بليت بعد كل ذلك بالاستعمار ، مع انها كانت في النصف الاول من القرن الثانى للهجرة في طليعة ابناء العروبة الفاتحين بل هب احد ابنائها يطلب الخلافة الاسلامية على عظم خطر مطلب الخلافة ولم يهزم الا بعد ان بلغت طلائع جيشه المدينة المنورة •

واعتقد ان علينا كأمة ان نفيد من تجارب وعبر ماضينا دراسة عميقة مخلصة ، على ضوء روح الدين الذى به اعز الله العرب ورفع رايتهم على اغلب بقاع المعمورة حينما اخلصوا عقيدتهم وعبدوا الله حق عبادته •



المناصب في تهامة

المنصب (لغة) بوزن المجلس الاصل ، واصطلاحا : يطلق في تهامة اليمن على شيخ من شيوخ الصوفية ينصبونه ـ يقيمونه ـ كرئيس ومرجع روحي يكون في عرفهم ، ملاذا للاعتقاد ومستنزلا للبركات ، ومن البدهي أن ذلك مخالف شرعا لروح الاسلام ونص الفرقان ، قال تعالى : (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ؟ ولا يستطيعون لهم نصرا) الآية وقوله تعالى : (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الآية ، وفي الصحيح عن أنس قال : شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسرت رباعيته فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنزلت (ليس لك من الامر شيء) •

ونود في هذا البحث تتبع هذا المصطلح في تاريخ تهامة ومتى كان وكيف أطلق على تلك الصورة ومن اول من ابتدعه وهل هو مقتبس من نحلة من النحل أو موروث من رواسب التاريخ القديم ؟

ونعترف بأن البحث شائك والمصادر التي تحت ايدينا لا تسمح بالصعود الى ابعد من القرن الرابع الهجري • وان بحثنا مقتصر على الناحية التاريخية والاجتماعية ليس غير ، وعلى هذا الاساس سنستقصي ما ورد في تلك المصادر عن المنصب :

١ ـ قال الجندي ومن المناصبة البيت المشهور بالفقه والعبادة بيت سود بن الكميت ، ـ المولود عام ٣١٦ والمتوفي عام ٤٢٦ هـ ـ

٢ ـ وجاء في المصدر نفسه ومن المناصب المشهورين بنو الاسدي ومحمد ابي بكر الحكمي ومحمد بن الحسين البجلي •

٣ ـ وورد في تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن للاهدل: وفي بلاد (الغنميين) منصب كبير وهم بنو (المكدّش) وأولهم محمد بن المكدش •

٤ ـ وورد في تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن للاهدل : وفي بلاد (الغنميين) أنه كان اليه نصب بني الحكمي •

٦ ـ وجاء في المصدر نفسه في سياق أخبار الفقيه (أحمدبن عمر الاهدل) المتوفي عام ٦٠٢.

٥ ـ وجاء في المصدر نفسه في سياق أخبار (عبدالله بن يعقوب الحكمى) أنه كان اليه نصب بنى الحكمى ٨٠٣ ما نصه حرفيا : (كان الفقيه أحمد بن عمر الاهدل فقيها فرضيا نحويا مشاركا فى علوم اخرى) الى ان قال : (وقد اخذ يد التصوف من عمه المعمر بن ابى بكر بن أبى القاسم ونصبه شيخا وعمل يوم نصبه طعاما كثيرا واستدعى مشيخة مشايخ الصوفية من تلك الناحية وعملوا سماعا مباركا ـ هكذا ـ) وقد قام الشعراء بمدحهم وممن قام بالمديح الاديب الشاعر (ابن زنقل) فقال :

صب بكاظمة شجته اربع ... فدموعه فى الخد منه اربع

راعته فى الغادين رائعة النوى ... ففؤاده لما تأوه مروع

يا مسلمين العيس تنفح فى البرى ... حينا ، وحينا فى الازمة تنزع

قولوا (لابناء الزوايا) بلغوا ... من لم يكون ، الآن ، حاضر يسمع

اهل الطريقة والحقيقة اجمعوا ... عزموا على الرأى الصواب واجمعوا

ما أصدق قول شيخ الاسلام ابن تيمية في قول الصوفية شريعة وحقيقة ـ راجع ذلك في ص ١٠

وبماذا أجمع أبناء الزوايا في هذا الاجتماع الخطير ؟

ان ينصبوا ملك المناصب (تبعا) ... اذ ليس فى كل المناصب (تبع)

ويتوجوه بتاج (اهدل) جده ... اذ ذاك بالورع الصريح مرصع

ويبرقعوه ببرقع من علمه ... ليناظر العلماء وهو مبرقع

أرأيت ايها القارىء الكريم ، كيف وصف لنا حفلة تتويج تبعية ـ على حد تعبيره ـ ، أما البرقع فقد خانه الحظ فى التعبير .. استعمله في غير موضعه حقيقة ومجازا .. ثم مضى فى مخرقته حاشرا الامامين مالكا والشافعى في موكبيهما رافعين رايتهما :

والشافعى ومالك راياتهم ... من تحتها جرد المذاكى تقرع

لبس الجنيد كمثلها عن خاله ... القسطى فظل بها يخب ويوضع

والضمير فى الهاء يعود على الخرقة ، ويقول المؤلف ان الشاعر ساق نسبة الخرقة الى (...) ثم قال ، واصفا الشيخ الاهدل وقد اقبل على الحفل بمنشور التتويج ، ورحم الله

ذلك الشيخ الصالح وسامح هذا الشاعر في افتئاته على رجل في جوار ربه :

والشيخ اهدل فارسا شاهدته ... وبكفه منشور (نصب) يرفع
وابو الشموس(١) مترجلا قدامه ... يصغى الى ماذا يقول ويسمع
حتى اذا ما (النصب) تم وصح ما ... قد كان فيه اصلوا أو فرعوا
كتبوا اجازته ، وصح كتابها ... ودعوا لما ندبوا اليه ، وما دعوا
حجلوا ، كماحجل الصحابةيوم فتح ... كدا ، وحسان بن ثابت يسجع

ان الصحابة أيها الشاعر الغر الاخرق حجلوا تحت ظلال السيوف ولمع الاسنة يوم فتح مكة أعظم يوم طهر الله فيه بيته المعظم من الانصاب والاوثان فهل تجعلهم كحجل الصوفية في حلقات ذكرهم وملهاة سماعهم في يومك الذى تصفه للاحتفال بهذه البدعة ؟

وذكرت طائفة (الجنيد) بهم وقد ... طاب (السماع) لهم وغنى (مسمع)

ولنقف من القصيدة الى هذا الحد ففيها ما لا يحسن نقله وما نقلناه هو كشاهد للحقيقة والبحث ..

٧ – ووردفي تحفة الزمن عند ذكر بني (الحجاج) ان الشيخ محمد بن عيسى بن حجاج المتوفي عام ٧٠٣ هـ نصبه والده وهو ابن احدى عشرة سنة .

٨ – وجاء في المصدر نفسه أن أبا بكر بن محمد بن عيسى بن حجاج كان له مهلل يرفع عقيرته بالتهليل في اسفاره .

٩ – ورد في التاريخ الموسوم : بـ(العقيق اليماني في تاريخ المخلاف السليماني) ان الشيخ المهدى بن الهادى الحكمي الذى أجار زوجة الامير قيس الكناني كان منصب البلدة ومعتقد اهل تلك الناحية وذلك في عام (٩٤٠) هـ

١٠– وورد في نفس المصدر ص١١٦ في حوادث سنة ٩٥١ هـ ما نصه (وفيها توفي الفقيه الافضل القطب الكبير صاحب الاصول الصادقة بحر الفضل الزين بن الامين شافع الشافعي المذهب وهو معتقد وادى صبيا – اى منصبهم – ودفن في قرية الباحر .

---

(١) أبو الشموس كنية أبى الغيث ابن جميل

١١ ـ وجاء في كتاب ملوك العرب للريحاني ص٤٢١ ج٢ في القسم الخاص بالمحميات التسع عند ذكر محمية (الواحدى) مانصه (ان للسادة مكانة عالية فيها ولكل قبيلة سيد من هؤلاء يسمى المنصب هو رئيسهم الروحى يحكم بينهم ويستغاث به وباجداده) •

ونلاحظ على ما ذكره أمين الريحانى أن المنصبة لم تكن مختصة بالسادة العلويين أو بالهاشميين ـ من القرن الرابع الى القرن الثانى عشر ـ بل هى مشاعة بين بيوت المتصوفة من الهاشميين والقحطانيين بل جميع المناصب ـ كما مر بالقارىء الكريم من القحطانيين الصميمين ما عدا شخصيتين هاشميتين هما الشيخ (على بن عمر الاهدل العلوى والشيخ أحمد بن عمر العقيلى الزيلعى)

وهاهي اسماء أشهر الاسر التى كانت اليهم المنصبة :

آل الاهدل في المراوعة ونواحيها

آل الزيلعى في اللحية ونواحيها

آل شافع في وادى صبيا

آل الحكمى في ابى عريش ونواحيها

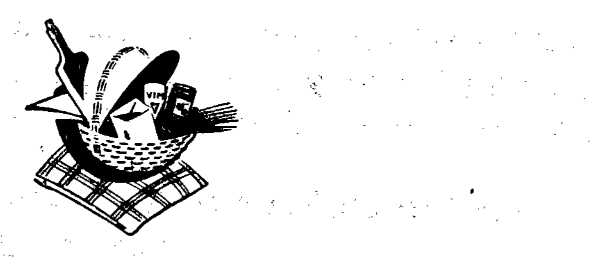
آل الكميت في القناوص

آل بنى المتخذ في القحرية

آل بنى العجيل في قبيلة الزرانيق •

آل المكدش في الغانميين

آل البجلى والحكمى في عواجة وجهاتها



السماع عند الصوفية

السماع في اصطلاح الصوفية اناشيد تنشد في حلقات ذكرهم يتواجدون على انشادها وقد يستعملون (الشبابة) ـ نوع من آلات الزمر ـ كما ورد في بعض الروايات عنهم في التاريخ فقد ورد في تاريخ وطيوط ص١٣ في ترجمة الشيخ محمد بن أبى بكر الزخم الحكمى ما يأتى : « كان بين محمد بن يعقوب أبى حربة ، والشيخ الزخم مشاجرة سببها ان صاحبا من أصحاب أبى حربة مال الى الزخم «١» وسمى به ولدا (٢) رزقه فجعل ليلة السابع (سماعا) حضر فيه (ابو حربة) بدون ان يعلم الرجل وأما السماع فما عقده الا الشيخ محمد بن عثمان الزخم فلم يقدر المسمع يصوت في (البراعة) ولا سمع لها صوت . الخ..

ويستنتج من القصة ان السماع تستعمل فيه (البراعة) الشبابة شأن متصوفة العجم والاتراك كالمولوية (٣) واصحاب حافظ الشيرازى .

وورد في كتاب تحفة الزمن فى غير موضع من الكتاب ذكر السماع واقامة حفلاته وورد في نفس المصدر ان بلغيث بن جميل عندما قدم الى (حجة) ومعه فقراؤه الى الشيخ الفقيه أبى الحسن على بن مسعود أقام (بلغيث) سماعا فنهاه الفقيه (على بن مسعود) عن ذلك مدة اقامته في (حجة) .

وليس في المصادر التى لدينا صورة بيانية عن كيفية حفلات السماع أو حلقات ذكرهم التي يقيمونها في تلك العهود ، وانما أتحفنا الكاتب العربي (أمين الريحاني)

---

(١) ص ١٣ تاريخ وطيوط

(٢) يلاحظ ان التسمية تقليد قديم وهذه القصة فى أواخر القرن السابع الهجرى ـ راجع الفصل الخاص بالعادات والتقاليد فى الجزء الثانى من كتابنا « الجنوب العربى فى التاريخ » وجاء فى ص١٤ من تاريخ وطيوط : ان الشيخ الزخم امتد نفوذه الروحى الى جهتى واديى تعشر وجازان

(٣) المولوية طريقة من طرق الصوفية ابتدعها جلال الدين الرومى المولود عام ١٢٠٣م وأصحابه يرقصون فى حلقاتهم على أنغام الناى .

في كتابه (ملوك العرب) بصورة وصفية كاملة لاحدى تلك الحلقات التي أقيمت في مدينة (الحديدة) في النصف الاول من هذا القرن نستشف منها انها صورة مكبرة لما كان يجرى في السابق قال ما ملخصه :

(حلقات الذكر في الحديدة) ـ كان قد توفي يومئذ شيخ الطريقة المرغنية فاشتركت الطرق كلها في حلقة ذكر من أجله ضمت أربعمائة شخص واستمرت خمس ساعات، جلسنا في منصة في صحن المسجد فاشرفنا منهُ على الحلقة كلها ، وكان الناس جالسين على الارض وجلس أبناء الشيخ المتوفي ومشايخ الطرق في صدر الحلقة وبينهم سراج منير وقارىء ، كان يقرأ ساعة وصولنا المناقب التي تفتتح بها حلقات الذكر . ان المناقب شبيهة بسيرة القديسين في الكنائس الكاثوليكية ، فهم يعددون فيها فضائل الفقيد فيجيئون بنبذة من سيرة حياته ويذكرون بعض كراماته .

ثم وقفت الحلقة أربعة صفوف الواحد وراء الآخر ووقف أحد أبناء الشيخ المتوفي في الوسط فحركها باسم الله بصوت هادىء واشارة لطيفة بـدأ بـ (لااله الاالله) فمالت الحلقات الى الامام ومالت الى الوراء وراحت تكرر وتردد الشهادة، وكان صوت الاربعمائة الشخص ، كأنه صوت واحد وحركتهم حركة واحدة يتدرجون سرعة وهياجا عملا بلهجة الشيخ واشارة يمناه ، ويجول في الحلقة مستحثا محرضا :

(الا الله) .. وضرب كفا على كف فرددت الحلقة: الاالله . بسرعة لمح البصر ثم أمست كأنها تصيح : لله لله لله ، وسكتت فجأة كمن اغمى عليه . ثم عادت تدريجيا الى الميزان الاول في الصوت والحركة : لااله الا الله . وجلس الشيخ . فقام آخر يثب وثبا ويقول : (حيم قيم) وتحركت الحلقة سريعه شديدة كأنها تدق رؤوسها في الارض ثم نطحا في الجو ، ثم استمرت في حيم قيم نصف ساعة والشيخ يثب في وسطها ويصفق كفا على كف كل مرة ينقلها من درجة في السرعة الى اخرى وما كادت تنتهى حتى بدأ يسقط صريعا من (...)

ثم نهض ولد لا يتجاوز الثانية عشرة ، وهو أصغر أبناء الفقيد ، فبدأ حيث انتهى اخوه . وكان يتلوى كالسكران ، ويرقص تارة ويثب طورا كالمجنون . مثل الولد دوره تمثيلا أدهش حتى الذين ألفوا الحلقات ومدهشاتها وأضحكهم كذلك . كهرب الولد

الحلقة • اضرم فيها النار • قبض على ما تبقى من رشدها ورماه خارجاه صاح بها فرددته الصيحات ولم نعد نفهم ما يراد • الا انها أشبه بالانين • كأن الاربعمائة رجلا أصيبوا بألم شديد فأنوا أنة واحدة • وبدأت تظهر (الصرعات) • هو ذا عبد أمسى جمادا ، فرفعه اثنان فوق رؤوسهم واخرجوه • وذاك وقد خرج من الحلقة فراح يدق رأسه بالحائط فسقط صريعا مغمي عليه • وهنـاك من يبغى الاجتماع بالله بواسطة عمود من أعمـدة المسجد فامسكه رفيقه فتفلت منه ووثب وثبة هائلة كان العمود ورأسه خاتمتها المفجعة • حملوه مضرجا بدمه الى خارج المسجد •

خلعت عذارى واعتـذارى لابس الـ خلاعة مسرورا بخلـعى وخلعتى

وسقط أمام الولد الزعيم في وسط الحلقة شيخ لحيته بيضاء طويلة والزبد يسيل من فيه عليها فوثب فوقه ولم يابه له وهذا آخر يخلع ثيابه •

رمى بعمامته وبجبته وبدثاره الى الارض • فاوقفوه عند هذا الحد واخرجوه في شعاره من الحضرة ؟ الخ •• »

وهى صورة دقيقة من كاتب بارع ـ مسيحى ـ لمشاهداته العيانية كما شاهدها بعـين رأسه ونقلها في دقة وبراعة تصوير ليسجل واقع مشاهداته للحقيقة والتاريخ وفيها ما يغنى عن كل تعليق (ان هذا لهو الضلال المبين) والله حسبنا ونعم الوكيل •



الصوفية وكراماتها المزعومة

ان الصوفية تعيش في ضباب من الاوهام وسراب من خداع العقول غلفت فيه الافهام وغلت العقول باغلال من الاوهام اطلقت عليها اسم (كرامات) نجدها مشحونة في كثير من كتب التاريخ والطبقات ـ التراجم ـ نسبت الى رجال من صالحى المؤمنين كغيرهم من عباد الله المتقين وكان معاصروهم يحترمون سيرتهم ، لما هم عليه من التقوى والزهد في الدنيا ، ثم غلوا فيهم والغلو شرك وضلال شرك بالله تعالى وضلال للعقول بالاوهام والاباطيل ، فاخذوا ينسبون اليهم ما نعتقد براءتهم منه ، وتقبلها العامة بدون تفكير وبقدر ما يغرب الكاتب يعد غزير المادة وافر المعلومات ، وهى تتنافى مع ماهم عليه من التقوى والزهد وطاعة الله المتصفين بها والمشهورة عنهم في حال ان ما يرويه عنهم لا يخرج عن الاغتيال السياسى ، او التخيلات والاوهام وندع لفطنة القارىء الكريم مشاركتنا في النظر لبعض ما ننقله مما نسب الى اولئك الرجال الاتقياء ان شاء الله كشاهد للبحث والا فهي تحتاج الى مجلدات •

١ ـ النوع الاول :

أ ـ جاء في تاريخ وطيوط ص (٦) ان الفقيه محمد بن الحسين البجلي كان مستجاب الدعوة قيل ان واليا في زمانه تولى (الكدراء) فطالب الفقيه بالمكتب ـ الخراج ـ والوقت متعذر عليه ورسم عليه مملوكا عجميا في ساعة لم يشعر به احد فربط الفقيه في مربط الفرس فنالته النجاسة فرفع الفقيه طرفه الى السماء ودعا الله ثم قال : واغوثاه ! فظهر شخص من تحت الفرس في يده سيف فضرب به المملوك فقده نصفين فخرج غلام المملوك يصيح •••

فانظر رحمك الله الى هذه الرواية التى بدأها بـ (قيل) وانظر الى قوله (ورسم عليه مملوكا في ساعة لم يشعر به احد وان الفقيه ربط في مربط الفرس فنالته النجاسة فرفع طرفه الى السماء) وانظر الى قوله : وصاح الفقيه واغوثاه فظهر شخص بيده سيف

فضرب المملوك وقده نصفين الخ • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوذى أشد الايذاء من قريش في جاهليتها، وهذا عقبة بن أبي معيط ألقى على ظهر رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم وهو يصلي في البيت الحرام بل وهو ساجد ـ فرث جزور فلم يستطع أحد من المسلمين الذين كانوا معه في البيت الحرام رفعه خوفا من المشركين حتى جاءت فاطمة ابنته فرفعته عن ظهره ، فهل ما نال الفقيه ـ على حد تعبير المؤرخ ـ اعظم مما نال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل يغار الله للفقيه أعظم مما يغار على نبيه ورسوله ؟ ثم قد نال الرسول الكريم في الطائف ما هو أشد أذى فقد أرسلوا عليه سفهاءهم يرجمونه بالحجارة حتى ادموا عقبه فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم اشكو عليك ضعف قوتي وقلة حيلتي فان لم تغر على فمن يغار على ؟ » •• أو كما قال، وفي الصحيح عن أنس قال شج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته ، فقال : كيف يفلح قوم « شجوا نبيهم ؟ » فنزلت (ليس لك من الامر شيء) وسامح الله المؤرخ وطيوط وامثاله من مروجي الكرامات وملفقي الروايات والقصص على حساب اولئك (الزهاد) حتى في ازهاق الانفس وقتل الغيلة •

٢ ـ جاء في المصدر نفسه ص ٧٩ القصة الآتية : (كان الفقيه محمد بن يعقوب كثيرا ما يحتمل المغارم عن الناس ويحمل المكتب عن اكثر اهل ناحية، حتى كان يجتمع عليه أيام المساحة نحو ثلاثين الف معاد لما كان فيه من الحمية والمكارم الجليلة وعلم الملك المؤيد ما يتمسح به الفقيه فولى المخالب مملوكا اعجميا فجاء عراف البلاد وقالوا لا يصير اليك ولا الى الملك شيء من الفقيه وما يتمسح به فعزم المملوك على مفاتحة الفقيه وارسل اليه جندا ورسم عليه وجاءه بنفسه وحمل عليه فلما عاين الفقيه انه غير متأخر عنه اومأ اليه باصبعه مستشهدا بهذا البيت من الشعر :

افنك ولو بالورى في الدهر واحدة ... فلن تعد جبانا بعدها ابدا

فخر المملوك ميتا ؟

ويروى وطيوط في الصفحة ٨٠ ما يأتي : (ذكر الجندي ان الفقيه محمد بن يعقوب يخرج منه كلام ينافي الشرع ثم قال ولقيته بموزع فرأيته كذلك) وعلق على ذلك

وطيوط بقوله : (حاشا وكلا ، ما كان الا على الطريق المرضية) •

ان المؤرخ وطيوط يقول قبل ايراد القصة السالفة:(قلت وسأذكر ما خطرنى من ذكر الفقيه) ثم أورد القصة • ويلاحظ أن محمد بن يعقوب توفي عام ٧٢٤ ووطيوط توفي في القرن التاسع اى بعده بنحو مائة وخمسين عاما تقريبا فلا يبعد ان تكون تلك القصة موضوعة على ذلك الفقيه ، ونفس وطيوط يقول ـ كما اشرنا قبله ـ : انه سيذكر مايخطر بباله ونجد أنه يسانده في ايراد تلك القصة المؤرخ حسين الاهدل المتوفى عام ٨٥٥ هـ وهو معاصر لوطيوط واذا كان لم يورد القصة بنصها وانما اشار اليها بما يأتي : (واما الفقيه محمد بن يعقوب المكنى بابى حربة ، كان من كبار العارفين وسمى بأبى حربة لقتله بعض الظلمة باشارته باصبعه فشبهت بالحربة •• وفي ذلك يقول الشيخ اليافعي في قصيدته باهية المحيا في مدح شيوخ الدين ـ الصوفية ـ

وسودية (١) حسنا الحلى ذات سؤدد لها حربة ترمى بها فى المفاصل

واليافعي رجل من شيوخ الصوفية له مؤلفات في التصوف واشهرها المسمى « نشر الريحان » يضم بين دفتيه ما ينسبه الى رجال الصوفية من الكرامات والخوارق تدعيما لمعتقده الصوفي والا فقد اعتدى على من هو افضل البشر على الاطلاق «محمد» بن عبدالله رسول رب العالمين ، اعتدى عليه من هو شر من المعتدى على الفقيه والمعتدى عليه كافر من مشركى قريش كما ورد في كتب التاريخ والسير ومنها كتاب بهجة المحافل فقد ورد : (انه لما هزم المسلمون يوم أحد وخلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، واشيع انه قتل عليه افضل الصلاة والتسليم فارتجف المسلمون لذلك وكان اول من عرفه كعب بن مالك الانصارى قال : رأيت عينيه تزهران تحت المغفر فصحت يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله • فأشار الى ، ان اسكت فعطف عليه نفر من المسلمين ونهضوا الى الشعب فأدركهم أبى بن خلف وهو يقول : أين محمد؟ لا نجوت ان نجا فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه وسلم هكذا اى خلوا طريقه وتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة وطعنه بها طعنة في عنقه تدأدأ منها عن فرسه مرارا

---

(١) نسبة الى جد الممدوح سودبن الكميت المتقدم ذكره

ورجع الى أصحابه وهو يقول تتلني محمد فمات منها بسرف ••• فهل الظالم للفقيه أشد كفرا وظلما من ابى بن خلف لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومع ذلك فالرسول لم يشر اليه بل تناول الحربة وطعنه (وفي ذلك تبصرة وذكرى لأولى الابصار) •

٣ ـ وذكر صاحب تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن القصة الآتية :

انه لما توفي الشيخ أبو بكر بن محمد المكدش في قرية « المجبلة » القريبة من قريته الاصلية « الانفة » حضر ابناؤه واهل قريته لحمل الجثمان ودفنه في مقبرتهم المسماة المضيضاء فمنعهم أهل قرية « المجبلة » وتشبثوا بدفن الجثمان لديهم ، وكاد ينشب القتال بين الفريقين في حماس ملتهب فاقبل احد الصالحين فاشار الى الفريقين بالتوقف وقرب من الجثمان المسجى وهمس في اذن الميت يسأله بزعمه اين يدفن ؟ ثم انتصب قائما والتفت الى الجمع قائلا : الشيخ يقول في المضيضاء ، فعند ذلك سلم اهل المجبلة الجثمان •

هل رأيت اغرب من تدوين مثل هذه القصة بان الميت يسأل أين يدفن ؟ ويجيب •• بالطبع ان الميت لا يتكلم وانما الجثمان الذى سيقاتل الفريقان في سبيله له مكانته ولصاحبه قوة التأثير العميق الذى تسرب الى اغوار تلك النفوس ولو وجد من لديه الجرأة الكافية لينكر ذلك في ذلك الموقف لقتل • ومن يقنع الجمهور المنفعل في عاميته وهو الذى ينساق لعواطفه لتصديق كل ما ينسب الى المغيبات بحكم العرف المتداول والتقاليد العمياء والمدارك المحدودة؟ ان الفريقين في ذلك الموقف تدشبت نيران عواطفهم وراح كل فريق بحكم عدوى الشعور الجماعى في تيار اندفاع مضاد للفريق الآخر في حالة لا ارادية تتحكم فيه الغريزة والعاطفة فوق البصيرة والعقل •• ولا بد لذلك الموقف من شؤبوب منهمر او دش بارد يطفىء تلك الانفعالات التى ينذر غليانها بالانفجار المدمر بغية أمر واحد ، وهو رضى روح ذلك الجثمان الهامد ولن يخضع الفريقان لاى حكم ما لم يأت من تلك الطريقة وحقا ان ذلك الشخص الحكيم الذى أنقذ الموقف ، من دهاة الرجال ولنكتف بهذا القدار والله المسئول ان يهدينا الى سواء السبيل •

الشيخ عبد الله بن محمد الاسدى

قال صاحب تحفة الزمن انه من ذرية عامر الحكمى وانه خرج من بلد قـومه الى (خلاد) (١) ومسكنهم بنواحى (جازان) فخرج الى جازان ـ هكذا ـ فاقام بموضع يقال له المنارة (٢) وتزوج وأنجب ولدا سماه «محمدا» ثم خرج الى نواحى «زبيد» فاجتمع بالشيخ (على بن الحداد) و « الصياد » و « عيسى الهتارى » و « على بن افلح » فاصطحبوا على العبادة قال اليافعى في كتاب نشر الريحان : واشتهر ان الاسدى عمر عمرا طويلا اكثر من المائة ودخل بلاد الروم فاقام بها مدة ثم عاد واستوطن « الحدية » وكان يسافر بالقوافل الى مكة وليس له من الولد الا ولده محمد ومات بـ « الحدية » وأما ذريته فهم في بلدهم (٣) وكثرهم في موضع يسمى (العريش) بقرب (جازان) •

كان له من المريدين ثلاثمائة يطوف بهم •

---

(١) هكذا فى الاصل ولم نقف على اسم يسمى خلادا •

(٢) «المنارة» بلدة قد دثرت ولا تزال أطلالها ماثلة ـ راجع ص ٢٧٣ ج١ من كتابنا « الجنوب العربى فى التاريخ »

(٣) جاء فى كتاب العقيق اليمانى ص ٢٧١ فى حوادث سنة ٩٨٣ : « وفيها القاضى المقبول بن عمر مكررا بن أبى بكر بن محمد بن على بن الحسن بن أحمد بن حمزة المشهور بالفضل والولاية محمد بن على صاحب الزهراء وهى تربة الريان من أعمال جازان ابن الحسن بن الحسين بن محمد بن عبدالله بن على البلاع صاحب « الحدية » كان القاضى رحمه الله من حملة القرآن والعلم وصاحب قدرة واجتهاد فى العبادة بحيث لا يتنفل الا قائما فى حضر او سفر وفى صحة أو سقم وكان ملازما لصلاة الجماعة لا تفوته أبـدا وكان اذا دخل شهر رمضان يختم كل يوم ختمة وكان يتهجد كل ليلة بثلاثة أجزاء وعاش حاكما بأبى عريش ثلاثة وعشرين سنة رحمه الله • انتهى •

الشيخ محمد بن ابى بكر الحكمى

ابو عبد الله محمد بن ابى بكر الحكمى كان والده يسكن (المصبر) بناحية حرض ثم انتقل الى جهة (القحمة) واخذ التصوف عن (الاحورى) وكان يمتهن النجارة ويعيش من عمل يده ثم صحب المعلم حسين البجلى ثم ابنه الفقيه محمد بن الحسين البجلى الذى وهب له ارضا زراعية فانتعشت أحواله ، وتوطدت الصداقة بينهما وتعاونافي تثبيت مركزهما الروحى فكانا اشهر رجال التصوف فى تهامة واقواهم نفوذا • وقد سبق في ترجمة البجلى الكثير من سيرتهما ومن اشهر اصحاب الحكمى (الشيخ البحر) و (فيروز) الذى شهر بعده بصحبة ابى الغيث بن جميل •

ان الشيخ الحكمى من الشخصيات التى خلد التاريخ ذكرها كزعيم من زعماء التصوف ، وشخصيته مع شخصية البجلى تكمل بعضهما • وقد ورث سيادة روحية ظل يتوارثها ذريته قرونا متتالية ومن اشهر احفاده البارزين (عمر بن عثمان زخم الحكمى) الذى امتد نفوذه الروحى الى جهات (تعشر) و (خلب) وجازان •

ويروى المؤرخ وطيوط وصاحب تحفة الزمن انه امى لا يقرأ ولا يعرف الكتابة غير اننا قد لاحظنا قبله ان الامية قد تنسب الى بعض زعماء التصوف ونجد من الشواهد ما ينافى ذلك • وهذا المؤرخ وطيوط يروى القصة الآتية عن (الحكمى) وان صحت فهو على بعض الجوانب من المعرفة والادب قال : (وقعت في زمن الشيخ الحكمى والفقيه البجلى سنة جدب وشدة ووقع بعدها مطر فى الصيف بالقرب من بلدة (عواجة) فانتجع له اهل المواشى من البادية وجاء قوم من (سهام) باغنامهم ومعهم كلبهم فكان (الكلب) يدخل القرية فألف بيت قوم ذوى يسار • فنال من فضلهم ما اشبعه فظل قليلا ما يأتى اصحابه السابقين ثم رحل اصحابه فظل مترددا بين ان يتبع اصحابه او يبقى

مع الآخرين : يهم بالرحيل مع اصحابه الذين يشاهدهم مرتحلين ثم يرجع الى اهل الدار المقيمين ثم اخذ يعوى عواء مؤلما • وكان الشيخ وبعض أصحابه يشاهدون ذلك فقال الشيخ لاصحابه مستشهدا ان لسان حال هذا الكلب يفصح بقول الشاعر :

الا ان لى اهلين أهلا ترحلوا   وأهلا اقاموا أى اهلى اتبع ؟

اقام الذى لا استطيع فراقهم   وسار الذى قلبى بهم متولع

فان صحت هذه الرواية فان الشيخ يكون على جانب من الذوق والاحساس الادبى الرفيع •

توفى الشيخ رحمه الله عام ٦٠٩ هـ



آل الحكمي

اسرة شهرت بالتقوى والصلاح والعلم فى مدينة (ابى عريش) وقد اشرنا في القسم الاول من كتابنا (المخلاف السليماني أو الجنوب العربى فى التاريخ) ص ١٠ الى تاريخ تلك المدينة ، وجاء فيكتاب العقيق اليماني – مخطوط – فى حوادث ٨٧٦ ما يأتى :

(وفيها توفي الشيخ صديق بن على بن ابى بكر الحكمى المشهور بالصلاح والفلاح وهو الذى اسس الجامع بمدينة ابى عريش ، واستمرت السيادة العلميـة والروحية في اسرته بعد ذلك الى القرن الحادى عشر وبعد ذلك لم نقف على شخصيات في صف من سبقهم من العلم ٠ كان لتلك الاسرة نفوذ روحي ومركز دينى وفيهم ما يسمى (بالمنصبة) فى جهة ابى عريش وقد اوردنا تراجمهم فى الفصل الثانى (بحثالمناصة) من هذا الكتاب واكتفى هنا بايراد دورهم الروحي والاجتماعى ضمن الصوفية و (المناصب) بحـكم مسلكهم الصوفي (١) ٠

كان لآل (الحكمى) نفوذ ادبى وسلطة روحية ومكانة اجتماعية ففيهم المنصبة في ابى

---

(١) ورد فى كتاب التاريخ الموسوم بـ «العقيق اليمانى فى تاريخ المخلافالسليمانى» الكثير من الاشادة والتمجيد لتلك الاسرة ونعتهم باسم السادة آل الحكمى ونكتفى هنا بايراد مقتطفات مما أورده عن أشهرهم :

– جاء فى حوادث عام ٨٩٢ هـ : « وفيها توفى الشيخ الصالح أبو القاسم بن على بن أبى بكر بمدينة أبى عريش وكان مشهورا بالولاية والصلاح والسعى وقضاء حوائـج الناس » الخ ٠٠

– جاء فى حوادث عام ٩٢٥ وفيها توفى الشيخ الصالح السهل بن صديق بن عـلى الحكمى وكانله المكرمات – الجارية – هكذا – والاحوال الصادقة

– جاء فى حوادث عام ٩٣٧ وفيها توفى الولى الكبير أبو المهدى الهـادى بن أبى القاسم كان مستقيما على الكتاب والسنة وكان مجلسه معمورا بالعلماء والادباء والشعراء يقصده الامراء والرؤساء للتبرك – هكذا – ولا يردون شفاعته الخ ٠٠

– وجاء فى حوادث سنة ٩٤١ توفى الشيخ المهدى بن الهادى الحكمى صاحب أبى عريش ، قام بالمركز – بعد أبيه وجده وحاز رتبة المشيخة فى عرف الصوفيه وأحيى مآثره أبيه وجده وعمر « الصفة » التى لهم بأبى عريش بالاذكار والتلاوة المقـدمة كل يوم الخ ٠٠

عريش والكلمة النافذة والحرمة الكاملة ولهم المواقف المشرفة ولا نجد اقوى شهادة مما اوردناه عنهم فى كتابنا المخلاف السليمانى او الجنوب العربى فى التاريخ ، المستقى من اوثق المصادر التاريخية ونعيده هنا للحقيقة والتأريخ •

١ ـ جاء في ص ٢٨٩ (اطمعت الفوضى اضداد امير جازان عامر بن يوسف العزيز القطبى أطمعت امراء حلى وحليفهم أمير مكة أبا نمى فأحب ان يؤمن جهته من ناحية الاتراك فبعث فى عام٩٣٨ وفدا الى زبيد برياسة (المهدى بن الهادى) وغيره من آل الحكمى واصحبهم بالهدايا النفيسة من الخيل والمال فقام الوفد بمهمته ووفق الى اصلاح الشأن وازالة سوء التفاهم) وفي انتداب أمير جازان لهم ما يدل على مالهم من مقام ادبى لا فى المخلاف وامارته بل ولدى حكومة الاتراك فى زبيد فان المهام السياسية يتحرى فى وفدها الشخصيات التى لها مؤهلات الوفادة ومميزات النجاح والرصيد المعتبر من السمعة والمكانة •

٢ ـ وجاء في ص ٢٩٠ : في عام ٩٤٠ تقدم أمير حلى على رأس قواته نحو المخلاف السليمانى ووالى تقدمه بدون مقاومة تذكر وانسحب الامير عامر من ابى عريش الى جازان العليا فاتحا الطريق امام خصمه ليتوغل لداخلية البلاد فاحتل امير حلى مدينة ابى عريش واستجم اياما ثم تحرك الى جازان العليا تاركا في ابى عريش اثقاله ومخيمه الرئيسى وحرمه وقد اصطحبهم في غزوته تلك مستخفا بقوة دفاع خصمه ظانا القضاء عليه بسهولة وعودته به اسيرا في ركابه الى مخيمه الرئيسى • وانما خانه الحظ وتحت اسوار مدينة جازان العليا فاجأته القوات المرابطة هناك التى تنتظر متحفزة لتثأر لشرفها المثلوم من تعدياته المتكررة وقابلوه بهجوم مفاجيء شتت شمل قواته وطاردها بعد ان قطع عليها خط التراجع الى مخيمها الرئيسى ـ طاردها مهزومة امامه فولى الامير قيس امير حلى لا يلوى على شيء وبلغ به الهلع والخوف الى سلوك طريق (الحازة) في الشرق الشمالى عائدا الى وطنه قانعا من الغنيمة بالاياب تاركا مخيمه ومؤنه وحرمه واثقاله في مخيمه الرئيسى ••

اقبل الجيش المنتصر واستولى على المخيم واراد سوق زوجة الامير اسيرة حرب فخرج (المهدى بن الهادى الحكمى) واخذها في جواره الى بيته فظلت مصونة الجانب موفورة

الشرف الى ان حال الحول فبعثها مع ركب الحجيج معززة مكرمة .

فعدن كدا أخذن مكرمات عليهن القلائد والملاب

قصة يمتزج فيها قوة النفوذ الروحى والادبى مع النبل والمروءة والشهامة وموقف من مواقف الشرف في انقاذ عقيلة من كرائم العقائل زوجة امير وقائد في جيش كان بالامس الظافر الذى تخفق على رأسه رايات النصر واعلام الظفر وشارات البطولة ، وذلك المخيم الرئيسى الذى غادره قائده في غزوة قريبة هينة في نظره اشبه ما تكون بنزهة ـ بعد ان شق جسم المخلاف السليمانى من القحمة الى ابى عريش وقضى على كل مقاومة ولم يبق الا العاصمة او بالاصح قاعدة الامارة قبع داخل اسوارها الامير المهزوم وجيشه المفلول ، في عرف الغازى ونظر العادى ، وما اسهل فى نظره ان يقوم بشبه مناورة امام المدينة فتنهار شجاعة الامير وتتبخر بقية معنوية فلول ذلك الجيش فيخرج الامير رافعا الراية البيضاء محنى الرأس لشروط الغالب .

وانما في نظر الجيش (المخلافي) واميره المغوار ـ الذى ضاق ذرعا بتعديات امير حلى وغاراته المتكررة على المخلاف ـ ان ذلك الاعتداء الصارخ والغارة الوحشية هى انتهاك لحرمة الوطن وامتهان لشرف المنطقة واهدار لكرامة المخلاف ولابد من الاستبسال في تلك المعركة الختامية بالحاق الهزيمة بالامير المعتدى وجيشه الباغى وضربه الضربة القاصمة الساحقة،ليشفى الجيش الموتور من تبله الفائر وثأره المطلول من عدو شق نصف اراضى (المخلاف) يقتل ويأسر وينهب ويحرق القرى ، وهكذا اندفع الجيش المدافع في هجوم مضاد بكل امكاناته فسحق الجيش المهاجم بعد ان قطع عليه خط التراجع الى مخيمه الرئيسى وخصص قسما لمطاردته صوب الشمال الشرقى ليحمله على سلوك اوعر الطرق في عودته الى (حلى) كما اندفع اغلب الجيش إلى المخيم الرئيسى بابى عريش ليستولى على معدات الجيش ومؤنه وارزاقه وحرم الامير في رأس القائمة ليكون فى سوقها سبية وصمة عار للامير المهزوم ، وفى اثناء اندفاع ذلك القسم من الجيش المنتشى بخمرة النصر وزهو الظفر يتقدم الشيخ (الحكمى) في طيلسانه وقبائه فيقف على باب خيمة الاميرة ويسكن روعها ويطمن قلبها الواجف ويطلب من المهاجمين في رجاء يجلله الوقار ويشع منه الرفق وتتجسد فيه نبل طباع العربى الاصيل واستحيائه ورقته فينبه في القوم عروبتهم الاصيلة ونبلهم الصميم بحسن صنيعه وكرم موقفه وتتمثل لهم في

شخصيته الزعامةالروحيةوالسلطة الدينيةفيلتفت المتقدمالىمن وراءه: انهافيجوار (المهدى ابن الهادى الحكمى) فتراعى حرمته ويحترم جواره وتسعى الى بيته مصونة الجانب لا يقدر احد ان يهتك لها حجابا او يمد اليها يدا ، وتظل فى جواره الى ان يحول الحول فيبعثها مع ركب الحجيج ويصحبها بمن يخدمها ويرعى شؤونها الى ان تصل الى زوجها الامــــير •

٣ ــ وجاء في المصدر نفسه في ص ٢٩٢ جهز الامير عز الدين ابن الامام شرف الدين حملة الى المخلاف السليمانى بقيادة قاسم بن عاهم وابن شربة فاستولت على المخلاف من نائب أمير مكة ، ويرافق الحملة امير المخلاف السليمانى الامير عامر بن يوسف العزيز الذى التجأ الى الامام شرف الدين طالبا النجدة على ابى نمى وذلــــك فى ســنة ٩٤٤ هـ فاستولت الحملة كما اشرنا على المخلاف الـــــذى مهد لها الســــــبيل اسم الامير عامر الـــــذى يعتبر امير المخــــلاف الشرعى حتى دخلت مدينة ابى عريش ، فاقبل وجهاء المخلاف افواجا على الامير مبدين من ضروب الحفــاوة والابتهاج ما أجج نار الحسد والهب لظى الغيرة فى قلبى القائدين الاماميين فتآمرا على قتله وبعثا من يغتاله ليلا في قصر الامارة فاصبح مقتولا على فراشه ــ وعلم الناس فتهيبوا مواراته ، فأقبل آل الحكمى فجهزوه وشيعوا الجثمان الى مقبرة ابى عريش ودفنــــوا تجاليده تغمده الله برحمته ، وبطبيعة الحال ان الناس علموا باغتيال القائدين للامـــــير فخشى كل احد من اقتحام القصر حتى خاصة الامير خوفا من القائدين اللذين بحــــكم القوة التى يسيطران بها على المدينة يستطيعان البطش والتنكيل بكل من يدخل القصر او يظهر عطفه بمواراته وانما مكانة آل الحكمى الروحية فوق مكانات القائدين وحرمتهم الادبية ومقامهم الدينى يجعل لهم الحصانة من كل تعسف او نيل من مكانتهم •

٤ ــ وجاءفي ص ٣٢٤ ما نلخصه باختصار : (تقدمت قوات الاتراك منزبيد للاستيلاء على مدينة ابى عريش التى طرد حاميتهم منها الامير عبد الوهاب القطبى ، ورابط الامير في اطراف المدينة بقبائل المخــــلاف لصدهم ، ودارت رحى المعركة فهزمت القــــوات المدافعة ولم تجد لها منفذا للنجاة فالتجأت الى صف آل الحكمى لائذة بحرمتهـــــا الدينية بعد ان بلغ عدد القتلى من قبائل صبيا ثمانمائة والف قتيــــل ، فقام آل الحكمى مهمة الهلال (الاحمر) فى حماية الملتجئين ومواراة القتلى • ولما عجزوا عن مواراة القتلى استعانوا بالبقر والمحاريث حتى اقاموا عليهم ربوتين عظيمتين غربى بئر الباشا ازدمر

تبلى مدينةابى عريش ، وان حرمـــة آل الحكمى التى قـــدرها حتى جيش الاتراك الغاشم وهم فى حمى نشوة الظفـــر وسعار وحشية المعركة فحقنت دماء المئـــــات من المنهزمين لهى خليقة بكل تخليد واكبار •

٥ ـ وجاء في المصدر نفسه ٣٣٢ ج ١ : (خرج المدير جعفر التركى في سنة ٩٨٦ هـ لاستحصال الزكاة الى جهة المسارحة فاسترحموه في تخفيف مـا فرضه عليهم فلم يصغ لاسترخامهم فهاجموه ليلا واضرموا النار في خيمته وقتلوا بعض اصحابه فلم ينجه الا الفرار ، وخشي المتسببون من الجزاء المنتظر فالتجأوا الى الامير احمد بن عيسى المهـدى القطبى ، الى الحقار وخرج المدير التركى يترصد الجناة وفى جهة (عياش) وقـــع الصدام المسلح بينه وبين الامير القطبى فعاد المدير مهزوما الى ابى عريش وتعقبه الامير الى قرية الحرجة وتوعد بانه سيهاجم مدينة ابى عريش ـ مقر المدير ـ فطلب المدير من آل الحكمى التوسط بينه وبين الامير فاشترط الامـــير كترضية اطلاق جميع المساجين الذين هم فى سجن المدير ـ وهى شهامة عربية تستحق الثناء ـ ولم يعد الا بعد ان اطلق آخر مسجون ، وهكذا كان آل الحكمى عامل تلطيف حـــين تتأزم الامور ويحزب الخطب •

٦ ـ وجاء في المصدر نفسه ص٣٣٣ ج١ :(في حوادث ٩٨٦ تقدمت القوات التركية الى ابى عريش للاستيلاء عليها من الامير القطبى الذى استولى على المدينة بعد الحادث الاول بشهر فغادر الاهالى المدينة خشية من معرة الجيش الى صبيا ، فبعث القائد التركى آل الحكمى الى امير صبيا لاقناع الاهالى بالعودة الى اوطانهم فعاد الجميع •

٧ ـ وجاء في المصدر نفسه ص ٣٢٥ ج ١ : (ماملخصه فيفتنة الاميرعيسى بن المهدى رحل اهالى ابىعريش من المدينة ولم يبق الا من عجز من الفقراء والمعوزين لعجزهـــم وضعف حالهم فرحل بهم الى (جورا) ابو القاسم بن محمد الحكمى ـ فكان في ذلـك انقاذ لهم من التعرض للهلاك •

هذا بعض ما سطره التاريخ لتلـــك الاسرة الصالحة من مواقـــف النبل والشرف في جانب الله ثم الشعب والمروءة والشرف والصالح العام بقدر ما تسامى الفكر في تلـك العهود مع قيامهم بنشر العلم وتفرغهم للهداية والعبادة والله يوفق من يشاء •

الفقيه محمد بن الحسين البجلى

شخصية نبيلة تتحلى بالفقه وتزدان بالادب وتتعلق بالمثاليات العربية من حمل المغارم واكرام القصاد وبذل القرى واصطناع المعروف وتهتز للمديح وتجيز الشعراء وتشتغل بالسياسة • ومع كل ذلك تعتنق التصوف فحشروها مع الصوفية ونسبوا اليها ما ينسب الى امثالها • ان تلك الشخصية الخصبة العقل الموفورة المعارف المغرمة بالسيادة والمجد لهى الى ارباب السياسة والزعامة اقرب منحى من التصوف ـ وان سلكت سبيله ـ وانما عصرها عصر لا يعرف تفسير كل تفوق ادبى الا الى الخوارق والمغيبات والكرامات فلنترجم لشخصيته النبيلة على ذمة اولئك المؤرخين •

نسبه ، اسرته ، ابوه

قال الفقيه (حسين الاهدل) في تحفة الزمن ان الحسين البجلى من بجيلة عبس بن علك وله قرابة موجودون بقرب قرية « عواجة » فى موضع يعرف « **بقرن البجليين** » • خرج من بلدة قومه (بجيلة) الى تهامة في أواخر العهد النجاحى فاشتغل مؤدبا لابناء (عمر بن عدنان الصريفى) احد الامراء المحليين في تهامة وكان يشتهر بالمعلم ، ثم عاد الى (**ذوءال**) **واقام فى قرية تعرف بـ (الدبية) ـ بضم الدال وتشديد الموحدة وكسرها ثم** مثناة تحتية ثم هاء ـ هكذ ضبط اسمها الاهدل في تحفة الزمن ـ فخطب بنت كبير القرية المدعو محمد بن فلاح وتسمى شجينة فرزق منها ابناءه : **محمد بن الحسين** ، على بن الحسين ، اسماعيل بن الحسين ••

نشأ محمد بن الحسين وقد تحسنت احوال والده ـ الذى اصهر الى محمد بن فلاح كبير قريته ومن سلالة امراء النجاحيين وهو من ذوى الوجاهة (١) واليسار في تلك **الجهة ، وكانت امه من فضليات النساء فنشأ فى ذلك البيت المتسم بالوجاهة والغنى ، فأتيح** له التهذيب وعلمه والده مبادىء القراءة والكتابة معاخيه (على بن الحسين) وكان الاول

---

(١) وطيوط ص٩

على جانب من الذكاء والالمعية فالتحق مع اخيه بحلقة تدريس شيخ العالم في عصره (برهان الدين ابراهيم بن محمد بن زكريا) المعروف وقد اخرجت تلك المدرسة فقهاء مشهورين منهم على سبيل المثال لا الحصر (الفقيه موسى العجيل) و (الفقيه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعمان) و (الفقيه على بن قاسم الحكمى) وكان محمد بن الحسين في طليعة من انجبتهم تلك المدرسة •

وكان والده (١) قد صحب الشيخ محمد بن ابى بكر الحكمى ـ والصحبة في عرف القوم سلوك طريقتهم ـ فلما قدم الحكمى الى قرية (عواجة) استقبله محمد بن الحسين البجلى واستضافه ثم صحبه ، وتأكد بينهما الاخاء والمودة حتى صار لا يذكر اسم احدهما الا مقرونا مع اسم الآخر (٢) فيقال : (صاحبا عواجة) او الشيخ والفقيه ، كما انه اخذ (٢) التصوف ايضا عن الفقيه (سيفين) اما صحبته للأول فقد اثمرت سيادتهما الروحية التى كانت لا تضاهى فى تهامة ـ وقد اشرنا فى القسم الخاص بدراسة التصوف الى قوة نفوذهما البالغ حد الاستغراب ـ وكان لكلمتهما مفعول السحر في النفوس متى نوها بشخص او صرحا بأمر من الامور • كما كان اصطناعهما او اسداء اى صنع لهما من مواقف الشرف التى يخف اليها ذوو المكانة والشهرة • ونكتفى هنا بايراد هاتين القصتين (٤) كشاهد :

١ ـ في اثناء تولى (عمر بن على الرسولى) بعض الاعمال فى قصور الايوبيين وهو في مستهل العمر وريعان الصبا أنعم عليه بحوالة نقدية على محصول الخراج في جهة قرية (عواجة) قدرها الف دينار وكان خراج تلك الجهة يكتب باسم (الشيخ والفقيه) فحولها امير (الكدراء) عليهما من اصل المطلوب منهما • فوصلهما (عمر بن على الرسولى) لقبض المبلغ فقال له الشيخ نحن في هذا الوقت نقترض من الناس لضيق الحال فشدد في الطلب • ولم يجدا عذرا في دفعه • فلاطفه الشيخ ـ وهو يعلم طموحه ـ بالثناء على مواهبه والتنويه بما ينتظره من مستقبل مشرق ـ وتنبأ له ، بماذا ؟ • هل تعلم أيها القارىء الكريم ؟ بما يذهل المرء ويطير بآماله في سماء المجد وآفاق الخيال •

---

(١) وطيوط ٦و٧٣

(٢) تحفة الزمن للاهدل

فقال له اننا نتنبأ لك بملك اليمن ايها الشاب • فذهل الشاب للمفاجأة غير المنتظرة •• من شيخين لهما مكانتهما الدينية والاجتماعية • وكان ذلك حلما غافيا فى عقله الباطن يلوح على شاشة افكاره كالرؤى المشوشة ويطرده من خاطره بسرعة ـ قبل ذلك ـ لاستحالته خوفا ان ينسبه الناس الى الجنون لوفاه به •

دخل الشاب فى شبه غشية افقدته الشعور لحظة وتنبه بسرعة وهويكذب سمعه وتطلع الى الشيخ والفقيه في نظرة ذاهلة تعبر عن الاستغراب والاستفهام قائلا : انا لست طفلا تضحكون على • فاطرق الفقيه • اما الشيخ •• فتطلع الى محيا الشاب بتلك النظرة الصوفية العميقة التى تجمع بين الحيرة المستفهمة والتأمل الروحى الحالم وتصنع الجد الوقور وتمتم قائلا : ـ يتحقق باذن الله ـ وامام مغناطيسية نظرات الشيخ تراخت اعصاب الشاب مستسلما متخليا عن الالف الدينار بطيب خاطر • وقد سبقت الاشارة الى ذلك وما كان بعد ذلك عمر بن على الرسولى يتألفهما به ـ وما انسحب الشاب من مجلسهما الا وتلك الفراسة قد طارت على أجنحة الخيال وكأنها الارهاص المنتظر •• واحسن ما نورده هنا هو كلام المؤرخ (وطيوط) لانه يعبر لنا عن انطباعات ذلك العصر ـ القريبة نسبيا من عصر القصة ـ قال : فرجع وقد عمته بركة الشيخين فوهب له امير (الكدراء) فرسا وامير القحمة كذلك وكذا كل من امير (فشال) و (زبيد) و (حيس) •• انظرالى سريان هذه الفراسة وترقب الناس لها كأنها الامر الوشيك التحقق، واسلاف امراء النواحى اليد والهدايا لعمر بن على الرسولى ، وقد يكونون يتناجون بها سرا حتى لا يفشى الامر خوفا ـ في عرفهم ـ من قوى الشيخين الروحية ، ولنقف من القصة على هذا القدر •

٢ ـ اما القصة الثانية فهى وان كانت اقل روعة وخيالا من الاولى الا انها تعطينا صورة لمدى تسابق ذوى المكانة والمراكز فى الاندفاع تلقائيا للتسابق في تقديم المساعدة للشيخ والفقيه ، فيحدثنا المؤرخ وطيوط ص ٦ بما معناه :

لاحق صاحب الخراج الفقيه والشيخ في عشرة آلاف دينار منكسرة عليهما فعزما الى الملك المنصور الرسولى ونلاحظ ان المنصور هذا هو عمر بن على الرسولى الذى تنبا له ، بارتقاء العرش وبالطبع ان هذا المنكسر خلاف ما يسامحان به من خراج ارضهما الخاص والعوائد والصلات ـ عزما الى الملك المنصور لاعفائهما من ذلك وبينما هما في طريقهما ،

اذ اقبلت محفة على اعناق الرجال وهم ينشدون للاستعانة فى قطع الطريق بزفة محلية يرددونها كأنها النشيد الخاص بسيدهم الاقطاعى المنتصب فوق المحفة •

جبلى نزل من جباله وينال الوفض والرمض ما يناله

وكان الرجل من سراة قبيلة المعازبة من كبار الاقطاعيين ويسمى (العجل) فاطل من علياء محفته المحمولة على الاعناق عليهما فقيل له انهما الشيخ والفقيه فاوقف ركبه وترجل من محفته ولحق بهما وسلم عليهما ثم سألهما متلطفا عن وجهتهما وعن الامر الذى جشمهما عناء الرحلة • فاخبراه • : فاحتمل تسليم العشرة آلاف الدينار للديوان عنهما وقال انا احق باصطناعكما من الملك وغيره فقبلا شاكرين ، وعلم الملك المنصور بصنيع الرجل فرفع ذلك مكانته اكثر واكثر فى البلاط خاصة ولدى الجمهور عامة ••

أرأيت — أيها القارىء الكريم — ما يتصفان به من عقلية واسعة وجاه عريض (راجع ما كتبناه عنهما فى فصل الصوفية ودورها السياسى قبله) •

هذا وقد اشرنا الى تخرجه فى علوم الفقه والتصوف • أما الادب فقد ألم به وجود فيه وهو كثير الاستشهاد بالشعر الذى يشع بالسمو الخلقى وينضح بالايثار ويشيد بالمروءة والبذل ومنه وكثيرا ما يردده :

ولو اننى اسعى لنفسى وجدتنى كثير التنائى فى الذى انا طالبه
ولكننى اسعى لانفع صاحبى وشبع الفتى لؤم اذا جاع صاحبه
يفر جبان القوم عن أم نفسه ويحمى شجاع القوم من لا يقاربه
ويأكل من مال الكريم عدوه ويحرم من مال البخيل اقاربه

وكثيرا ما ينشد :

الفت من نائبات الدهر اكبرها فما اعود على شىء من الصغر
تزيدنى قسوة الايام طيب ثنا كأننى (المسك) بين الفهر والحجر

واستشهاداته تعبيرات عن ملاك خلق رفيع • وورد فى تحفة الزمن للاهدل ان له مؤلفا يسمى « لب اللباب » ويقول المؤرخ وطيوط ان له كتبا — اى مؤلفات — اجاد فى تأليفها •

البجلى : الزعيم الاجتماعى

ان البجلى بحق زعيم اجتماعى تنضح اخلاقه بعبير المروءة وتشع بألق المجد • يقول المؤرخ وطيوط ص ٣ : (وكان من طبعه القيام بحوائج الناس وبأمر الواردين) ويقول

صاحب تحفة الزمن : (كان مشهورا بالكرم والضيافة للوافدين) ويقول صاحب تحفة الزمن عندالاشادة بمزاياهوالتنويه بمكارمه : كان للبجلي ثروةومكارم ومواساة بنفسهوماله وربما تردد في الشفاعات وقضاء امور الناس الى (زبيد) و « تعز » وغاب عن بيته شهرا وشهرين ويذكر انه غاب غيبة طويلة في مثل ذلك كلما هم بالرجوع تعلق به قوم فرجع معهم الى ان لم يبق لاحد عليه حاجة فرجع الى ان قرب من قريته ورأى المستقين على بئر القرية فتعلق به جماعة فرجع معهم ولم يدخل القرية وتمثل بقول ابى تمام :

تلـك بنـات المخـاض راتعـة والعـود فى كوره وفى قتبه
وهل يبـالي بانقضاض مضجعه من راحة العالمين فى تعبه

أرأيت ايها القارىء الكريم هذا النبل الرفيع والسيادة الحقة والسعى الكريم في خدمة الجمهور ؟ وهل مثل هذا العمل الجليل عمل متصوف حليس الزاوية وربيط التكية؟ أم عمل زعيم يعرف واجب الزعامة ، ويدرك حـق الادراك حقوق السيادة ، وكانت الزعامة تدر عليه دخلا وفيرا ومنها الفتوح والنذور المعروفة فاقتنى الاملاك الزراعيـة الواسعة ، وكان ينفق شطر دخله او اكثر فى قرى الضيف واعانة المحتاج والمساعدات ووجوه البر الاخرى واجازة الشعراء ويروى المؤرخ وطيوط القصة الآتية : (ومـن مكارمه انه وقعت ازمة شديدة افنت المواشي واتت على الاقوات وحصل عقبها حريق اتى على ما تبقى من صبر واحتمال لتلك الشدة فمر الفقيه شرقى مدينة القحمة على قبيـلة اللاميين من ساعد بن عك وقد هطلت الامطار الغزيرة والاراضى تفهق بالميـاه والشعوب تشرق بالسيول ـ بعد تلك الازمة والجدب ـ فهنأهم بالسقيا • فقالوا : والله ما معنـا فرح بهذا الغيث لعجزنا عن زراعتها لما تعلم • فقال : من أراد منكم التسليف الى حصول الثمرة فليتفضل يصلني الى عواجة فلم يأت احد الا اسلفه مبتغاه • وبارك الله لهـم فى زراعتهم فحصدوا واقبلوا ارسالا بما أخذوه منه • فرده لهم وقال انتم فى حل مما عندكم وسامحهم على ما عندهم •

ويروى الاهدل في تحفة الزمن : مرض البجلي فبعث اليه الشاعر ابن حمير قصيدة انشدت بين يـده مستهلها

(أعلمت عن حادى الركائب اذ حـدا)

فارسل اليه بمائة دينار واعتذر منه • فرحم الله البجلى الفقيه ورحم الله البجلى الاديب ورحم الله البجلى الزعيم الاجتماعى والسيد المثالى وسامح اولئك الذين شابوا سيرته

المشعة بالاوهام والاباطيل ، ان الرجال الافذاذ مشاعل تنير سبيل الاجيال الصاعدة وصوى تدل ركب البعث على مسالك دروب الرفعة والسمو والمثل الرفيعة والصلاح هو اصلاح المرءامر دينه ودنياه • وفي الاثر : الناس عيال الله وأحبهم اليه انفعهم لعياله • وان السمو الخلقي الذي يشرق في صفاء ويشع من النفوس المهذبة اشعاع نور البدر من خلال الغيمة الرقيقة هو الذي يثير المشاعر النبيلة في النفوس باعمال الخير والايثار وخدمة الصالح العام في حدود امكانات المرء ومجالات استطاعته • ويحدثنا المؤرخ وطيوط في ص ٣ ، بان البجلي كان مترفها في الملبس والمركب وتوفي رحمه الله سنة ٦٢١ وقد رزق الفقيه البجلي ابنا اسمه ابراهيم اتبع طريقة ابيه في الشرف والسؤدد وطلب العلم وبرز في الفقه ومن شيوخه الذين حصل عليهم الفقيه احمد بن موسى العجيل ، ثم تفرغ للتدريس فكان في حلقة درسه ما ينوف عن مائة طالب نفقتهم على حسابه •





شيخ البحر

اسمه عيسى ولقبه البحر قال صاحب تحفة الزمن: (البحر من بنى المكدش واسمه عيسى) كان في مستهل حياته من قطاع الطرق فخرج ذات مرة مع مولى لهم فمرت بهما امرأة تحمل طفلها فتقدم نحوها المولى واخذ منها (قفة) بيدها ثم أمرها ان تنزع ثيابها ليأخذها فقالت له قف بعيدا حتى استتر وانزعها لك فأخذت خمارها واستترت به ونزعت ثوبها لترميه اليه فشاهد محاسنها فراودها عن نفسها فأبت فقتلها وواقعها ميتة فصرخ البحر وولى هائما على وجهه وقصد الشيخ الاسدى فتتلمذ له ويقول صاحب تحفة الزمن ثم التحق بالشيخ الحكمى فوقع وحشة بينهما بسببه) ثم لازم الحكمى وشهر امره بالصلاح والتقوى ولم نقف ع لى سنة وفاته وعلى كل فقد عاصر الاسدى والحكمى والاهدل وابا الغيث بن جميل وهو فى الدرجة الثانية فى الشهرة بالنسبة الى اولئك الشيوخ • ولم يشر صاحب تحفة الزمن الى تاريخ وفاته •



(الشيخ ابو الغيث بن جميل)

طاقة من النشاط العقلي والطموح الروحي ضاق بها استاذاها : الاول فاجتـواها ٠٠ والثاني فعزلها في ناحية من نواحي نفوذه الروحي مع اخذ الاحتياطات الضرورية في نطاق لا يطغى على مركز قاعدته بعد وفاته بل ضاق بطموحه غير شيخيه وهو الشـــيخ محمد بن ابي بكر الحكمي فضايقه مضايقة ادبية اقصته عن السكنى في تهامة حتى توفي الشيخ الحكمي وسنعرض دراسة مفصلة في اثناء هذا البحث توضح ما أوجزناه هنا :

اصله ونشأته ـ تلمذته الاولى

اصله من (موال في بلادحجور) فهو عربي صميم من قبيلة حجـــور بن اسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم‌بن حاشد ، كان في متهل حياته من قطاع الطـــرق فادركته رحمة الله فتاب واناب وقصد كبير متصوفة مدينة زبيد «محمد بن فلاح» وكان في سن الثامنة عشرة وندع الكلام للشيخ‌ابي الغيث نفسه كما يرويه عنه الاهدل في تحفة الزمن قال : (فوصلت زبيد في اليوم الثالث فدخلت على الشيخ علي بن فلاح فرحب بي قائلا ارحب يا وصيف وما تريد ؟ فقلت اردتك لتربيتي وانا حينئذ لا اعرف الصلاة ولا غيرها فتعلمت‌الصلاة وغيرها ولزمت خدمة‌الفقراء ثم خدمة الماء في‌البيت الخ وبعد ثمانيـة أيام فقط اعفاني من ذلك ثم قال له شيخه ان يلازمه في العبادة والخدمة) وهكذا ترفع في وقت قصير مما يدلناعلى نجابة ذلك المريد ، ثم نفهم بعد ذلك ان شيخه رفعه الى‌درجة الزمالة بحيث امر النقيب بأن لا يتركه يخرج وانه اذا بسط له سجادة يبسط له ـ أي لابي الغيث ـ مثلها، ثم‌طلب منه الشيخ مغادرة الرباط ٠ ولم يشر الى الاسباب وان كان صاحب التحفة وغيره يقول : لما ظهر من صلاحه ـ هكذا ٠٠ لم لا يقال لما ظهر مـــن طموحه ٠ وندع هذا الآن للتفسير العملي بعده ٠

رحل ابن جميل لا ليفتح رباطا (١) أو زاوية بل ليلتحق بشيخ آخر .هو الشيخ على بن عمر الاهدل وتتلمذ له ولازم خدمته وانما نلاحظ انه استفاد من الدرس الاول ما نال به رضى شيخه الجديد وقتا اطول من السابق واخيرا بعثه كما يقال ليفتح زاويـــة له فى « بيت عطا » وبعث معه اربعين فقيرا • وشعر الاهدل بدنو الاجل وهو يعرف طمـــوح تلميذه فيروى صاحب تحفة الزمن ما يأتى: (ان الشيخ الاهدل كان أوصى الشيخ الحكمى والفقيه البجلى بذريته وزاويته واشار لهما الى ان الشيخ ابالغيث يصل للعزاء وربما هم بالاقامة في الزاوية وأوصاهم انهم لا يقرونه على ذلك ولما مات الشيخ عـــلى وصل ابو الغيث للعزاء في جمع كثير فهم بالاقامة والزواج فمنع من الحكمى) •• الخ

عاد ابو الغيث الى زاويته في (بيت عطا) ويظهر ان الشيخ الحكمى وصاحبـه شعرا بطموحه الذى يزاحم نفوذهما فضايقاه مضايقة ادبية وروحية فاضطر الى الارتفاع مـــن تهامة الى الجبال ولم يعد الا بعد موت (الحكمى) ونستشف ذلك من كتاب (تحفـــة الزمن) الذى يفيدنا بالجملة الآتية : (قال الحكمى هكذا يفعل ابو الغيث ماله سكنى في تهامة ما دمت حيافلم يستقر الشيخ ابو الغيث بتهامة حتى مات الحكمى بعد ست عشرة سنة) ونلاحظ على صاحب (تحفة الزمن) قوله : لم يستقر الشيخ ابو الغيث بتهامة حتى مات الحكمى بعد ست عشرة سنة •• فان الحكمى كما يذكر صاحب تحفة الزمن قال ذلك على اثر عزم ابى الغيث على الاقامة فى زاوية شيخه الاهدل الذى اوصى بعدم السماح له بذلك مع ان الشيخ الاهدل باجماع المؤرخين توفى عام ٦٠٢ هـ والحكمى توفى ٦٠٩ فتكون المدة سبع سنوات لا ستة عشر عاما •

تلك شخصية ابى الغيث التى ضاق بطموحها شيخاها كما اعلنها الشـــــيخ الحكمى بالجفاء وبموت الحكمى وقبله الاهدل لم يبق فى الميدان الا محمد بن الحسين البجـلى وهو شخصية متسامية مرنة ــ كما مر بك ــ فلم نقف على جفاء بينه وبين ابى الغيث وقد توفى الاخير عام ٦٢٠ على بعض الاقوال او فى سنة ٦٢١ على القول الآخر فخلا الميدان من فرسانه • واتيح لابى الغيث التفرد بالسيادة الروحية والزعامة الصوفية وتفرد بالشهرة

---

(١) قال صاحب تحفة الزمن نقلا عن محمد بن عمر حشيبر ان أبا الغيث دخل فى التصوف وهو ابن ثمانية عشر سنة وصار شيخا صاحب رباط وهو ابن خمسة وثلاثين وتوفى فى سنة الخامسة والتسعين •

والمكانة وكثر مريدوه وشهر وله طريقة من طرق الصوفية المعروفة اطلق عليها اسم
ويقول المؤرخ الوشلي : وظهر هناك امره ، وعظم شأنه ، وكثر اتباعه حتى ان فرقا كثيرة
من الصوفية يقال لهم الغيثية نسبة اليه) •

كثير من الصوفيه يقال لهم الغيثية نسبة اليه)

دوره السياسى

ان أبا الغيث بن جميل لم يقف دوره على الزاوية والمريدين فكما ادلى غيره دلـــوه في سياسة عصره عمل كما عمل غيره فالزعامة الروحية ـ كما أشرنا ـ لها نفوذهـــا في البادية وسلطتها الادبية فى الحاضرة وهى طاقة من القوة الادبية لا تعادلها اخرى حينذاك تستغلها السياسة لصالحها وتستفيد من موقفها فى جانبها بقدر ما تستفيد هى بدورهـــا بصفتها نصيرة الجانب المنتصر معنويا وماديا ويخطر فى عقول العامة ـ بفضل أســـاليبها المرنة ومعرفة زعمائها بطرق التأثير النفسى ـ أنها هى القوة الخفية الغير المنظـــورة التى اعانت على احراز النصر • والجماهير عاطفية تقنع بما يطفو على السطـــح والبادية وهى الاكثرية ومركز الثقل وقوة الاندفاع من السذاجة والجهل بحيث تنقاد بسهولة لاولئك الزعماء وقد اخذ هذا درسا ناجحا من موقف (الحكمى والبجلى) في معاضدة (عمربن على الرسولى) ـكماسبق توضيح ذلك ـ وها هو الميدان خاليا من كل منافس والمظفر الرسولى في محنته التى افقدته والده الملك وكادت تحرمه ارتقاء العرش فهو محتـــاج في موقفه العصيب الى مناصر من اى نوع كان وطاقة من قوة الدفع لالتفاف الانصار حوله ووقوفهم بجانبه واندفاعهم لنصرته • والمنطق الخلاب واللغة المفهومة لدى الجمهور فى البادية التى هى قوة الدفع وسهم الانطلاق هناك اشارة من زعيم روحى بالتـــأييـــد والظفر يدعم مركزه ويرفدسلطته فتوجه المظفر من المهجم الى الشيخ ابى الغيـــث بن جميل طالبا مساعدته • ويحدثنا صاحب تحفة الزمن والمؤرخ وطيوطوالمؤرخ الخزرجي أن ابا الغيث بشره بالملك وحث المشايخ بنى القرابلى ومشايخ سردود على نصرته وقـــد أشرنا الى التعليل العلمي ـ بعد مشيئة الله تعالى ـ في الفصل قبله بعنوان : (الصوفيـــة ودورها السياسى) وراجع فى الفصل نفسه رســالة امام الزيدية أحمد بن الحســين

المهدى الى ابي الغيث بن جميل وجوابه عليها لتقف على قـوة مكانة هـذه الشخصية في عصرها ومركزها الروحى الذى يطلب وده ذوو الخطر والسلطان في عصرها • ومـا نورده هنا كشاهد فقط والا فالمقام يحتاج الى كتيب مستقل لو أردنا الاستقصاء •

(اقوال المؤرخين عن سيرته وحياته)

يروى وطيوط بص ٧٤ ان الشيخ احمد بن عمر الزيلعى العقيلى سئل ـ عن رجال العصر في تهامة فقال : فيها شيخ وفقيه • فالشيخ أبو الغيث بن جميل والفقيه احمد بـن موسى العجيل ويقول صاحب تحفة الزمن : (كان الشيخ بلغيث بن جميل ملازما لسماع العلم كتفسير الثعالبى وغيره كل يوم من بعد صلاة الصبح الى الضحى • ومن بعـد الظهر الى صلاة العصر ومن بعد العصر الى المغرب وسمع كثيرا من الرقائـق) ويقول المؤرخ الخزرجى : (كان الشيخ رحمه الله كبير القدر شهير الذكر صـاحب ترقية ومجاهدة قل ان يوجد له نظير وفضائله كثيرة) •

وقال الجندى : حججت سنة فبلغنى ان الشيخ أبا الغيث قد تكلم بتفسير القرآن عـلى المشكل منه فانتخبت من وسط الواحدي عشر مسائل واستثبت حقائقها • فلما رجعـت مررت ببيت عطا فدخلت على الشيخ فوجدت الناس يتغدون والشيخ قاعد على السرير في طرف الرباط فامرنى بالقعود والغداء ثم اورد كلاما خلاصته ان هيبة الشيخ افقدته الجرأة على السؤال فودع وانصرف •

ونستفيد من الجندى ما يأتى :

١ ـ ان الشيخ ابا الغيث له كلام حول تفسير المشكل من آى الكتاب الكريم • واذا كنا لم نقف على فحوى كلام الشيخ فالاغلب انه لا يخرج عن تفسير المتصوفة •

٢ ـ يجلى لنا الجندى صورة واضحة مختصرة عن مجلس الشيخ ومضيفه ـ أوخوانه ـ الممدود الذى يغشاه الناس حتى ان القادم يجد له متسعا فهو اشبه بموائد كرماء العرب وهذا يدل على سخاء وكرم نفس ودخل وفير يتحمل مثل تلـك النفقة الدائمـة والـكرم الفياض

٣ ـ يصف لنا مجلس الشيخ على سرير فى طرف الرباط

٤ ـ نستشف من احجام الجندى عن القاء الاسئلة المعدة عليه ، ما للشيخ من هيبـة شخصية ووقار روحى وقوة ادبية

وانصافا للحقيقة والتاريخ كما اوردنا اقوال التأييد فلا بأس من ايراد اقوال المعارضة : قال صاحب تحفة الزمن : « ونسب الى الشيخ كتاب فى التصوف انه من كلامه ولا يصح له اليه سند » اذ من المشهور ان الشيخ كان اميا لا يكتب ولا يقرأ الكتب لكنه كان ربماتكلم في السلوك وله مكاتبات يحتمل انه كان يمليها على بعض جلسائه من الكتاب فيزيد فيها ويجازف ويتأنق في بعض العبارات ، فيقع فيها ما يقع كما وقع فى مكاتبته الى احمد بن علوان وقد يتأول له معنى ولكن لا حاجة الى التأويل مع عدم صحته عن الشيخ وهذا الكتاب لبعض اصحاب ابن عربى وهو فيما احسب الفقيه ابو بكر التعزى المعروف بابن الهرار الحيوى جعل فى الكتاب مقالات من مقالات ابن عربى واصحابه على مذهبهم ونسبها الى ابى الغيث بصيغة : قال .. وتارة بصيغة قيل وهذه الصيغة ظاهر انها ليست للشيخ ابى الغيث فيجب ـ هكذا ـ نفيها عنه الخ

ونلاحظ ان نسبة الامية وعدم القراءة والكتابة الى بعض زعماء الصوفية غير صحيحة فان ذلك اما من الاشياع لقصد انه تلقى الهداية وتلقن السلوك من علم الغيب أو من الاضداد لتقليل شأنه فانالذى يقصده المؤرخ الجندى باسئلة عن كلامحول تفسيربعض الفاظ الكتاب الكريم يبعده ان يكون اميا وكذا كتاب الامام احمد بن الحسين المهدى اليه يدل على انه يكتب الى رجلذى معرفة وفهمعدا زعامته التى لا يختلف فيها اثنان اما جوابه على الامام فدلالته أقوى فيما يتحلى به الشيخ من المعرفة . وانما الحقيقة المعروفة ان الكثير من رجال التصوف يغالون في تحصيل أو بالاصح على تلقى التربية والسلوك اكثر من تحصيل العلم وسيلاحظ القارىء الكريم ان الشيخ الحكمى الذى ينسبونه الى الامية بدوره يروى عنه انه خلاف ذلك .

ويقول صاحب العقود اللؤلؤية (الخزرجى) : وكانت وفاة الشيخ على الحال المرضى عازفا عن السماع منذ نهار الاربعاء لخمس بقين من جمادى الاولى سنة ٦٥١ بعد عمر دام ٩٥ ولم يعقب ابناء .

(سود بن الكميت)

قال الجندى : ومن الناحية ـ يقصد وادى مور ـ البيت المشهور بالفقه والعبادة بيت بنى سود بن الكميت غير انهم اتهموا بمذهب الزيدية ـ هكذا ـ ونسبهم يرجع الى قهب بن راشد بن بولان من عك بن عدان :

وسود هذا اول شخصية وقفنا على سيرته من المتصوفة فى تهامة ـ وقد يكون سبقه غيره بلا شك في غير المصادر التى تحت ايدينا ..

ولد الاسود بن الكميت عام ٣١٦ هـ وعمره مائة وعشرون سنة قال صاحب تحفة الزمن : (وصفه النزارى بالفضل والحلم واطنب في ذكره وذكر انه كان يحصل على غلة من القطن من ارضه تقدر بسبعين حملا فيتصدق بها ويأكل مع اصحابه في المسجد وكانت وفاته بقرية الفاشق عام ٤٣٦ هـ وخلف لورثته عشرة آلاف معاد من الاراضى الزراعية بجهة القهبية وهى معفاة من مساحة الديوان وذريته كثير في تهامة والجبال) ومن أشهر ذريته الفقيه محمد بن يعقوب بن محمد بن الكميت بن على بن الكميت بن محمد بن سود بن الكميت .

(محمد بن يعقوب ابو حربة)

قال صاحب تحفة الزمن : كان من كبار العارفين ويلقب بابى حربة . تفقه فى مستهل حياته ثم انصرف الى الزهد والتصوف وترجمته فى تاريخ وطيوط وتحفة الزمن وغيرهما مزيج من الرؤى والارهاصات والغيبيات نستخلص منها حياته العملية والاجتماعية ان الشيخ كان زعيما روحيا كأمثاله من زعماء المتصوفة وكان يدخل فى ديوان المساحة باسمه خمسة عشر الف دينار عن أهل جهاته وتعفيه الحكومة منها ، وكان يقول لاصحابه ولمن يتعلق بهمن الضعفاء والمتدينين وحملة القرآن الذين يقصدون سوحه رجاء مساعدته وطمعا في شفاعاته عند ارباب الدولة واحتمال غرم عن بعضهم او غير ذلك من

(مور) او سردود : « ما دام هذا الجمل يحمل فحملوا عليه » وهى كلمة تخرج من سيد يعرف حق السيادة لقاصديه وراجى فضل جاهه او برماله او تحمل مغرم او اسداء صنيع • وقصد الشيخ ـ في احدى المرات ـ مدينة عدن فاقبل ذوو اليسار والجاه في التسابق الى اعانته بالوفر من المال والنفيس من الهدايا فتصدق بها في (عدن) جميعها قال الشرجي: (وللفقيه محمد بن يعقوب ابى حربة دعاء مشهور لختم القرآن الكريم يشتمل على مطالب عزيزة وفوائد جمة تدل على كمال معرفته وتمكنه من الفصاحة والبلاغة وقد شرحه الفقيه حسين الاهدل شرحا مطولا في مجلدين) قال الوشلي (وقد اختصره الشيخ الديبع في ثلاثة كراريس) وقال الشرجي فى طبقات الخواص : (وللفقيه ابى حربة رسالة في كيفية رياضة النفس مفيدة) ولم نقف على مضمون تلك الرسالة ويظهر انها على نهج الرياضة الصوفية •

توفى رحمه الله سنة ٧٢٤ بقرية (مريخة) من اعمال وادى مور • ويقول المؤرخ الوشلي ان قرية مريخة قد خربت ولم يبق الا أطلالها •



(احمد بن علوان)

ولد فى قرية (عقاقة) «١» قرية من قرى جبل (صبر) حيث الطبيعة الساحرة والجو الشاعرى الاخاذ • وجبل صبر من أمرع جبال اليمن الاسفل خصوبة ونماء يطل على مدينة تعز فى شموخ وكبرياء تتدفق عيونه الثر ة بين جنانه النضرة ومزارعه المنتشرة من قمته المتشحة بالغيوم الى سفوحه المخضرة بأنواع الثمار والكروم • ونشأ فى قرية تسمى (بذى الجنان) من قرى جبل (ذخر) المعروف بخصوبة ارضه وصفاء جوه وللجو والموقع تأثيره على النفس والجسم والعقل اضف الى ذلك ان والده كان كاتبا (٢) للملك المسعود الايوبى ـ ملك اليمن ـ وناهيك بمقام ومركز كاتب الملك فربى وترعرع تحضنه السعادة ويرتشف افاويق النعيم وتفتق ذهنه الغض في بيت ـ لا شك وابوه كاتب الملك الذى له مؤهلاته الذى بوأته ذلك المركز الهام ـ كانت تغمره ارفع ثقافة عصره ، وتلقى معلوماته فى راحة بال واطمئنان نفس ، فأتقن فن الكتابة ومؤهلاته العلمية (٣) من «نحو» و (لغة) ومحفوظات واسعة من (النظم) و (النثر) والم بالفقه وغيره ، مما يهىء له مكانة فى فن الكتابة والانشاء وعاش فى ترف وبلهنية من العيش ، حتى اذا توفى والده ـ كما يظهر ـ ونضب ما لدى تلك الاسرة من المال أو كاد ، قصد باب السلطان التماسا

---

(١) العقود اللؤلؤية ص١٦٠ ج١

(٢) المصدر نفسه ص ١٦١

(٣) العقود اللؤلؤية ص ١٢١ « جاء عندذكر السلطان أبى السمو بن محمد بن العلا بن الوليد الحميرى « بأنه اخذ العلم فى « الجند » عن ابن المبردع ، وبنواحى جبا عن أحمد ابن علوان الذى أجازه فى جميع مقروءاته ومسموعاته ومنظوماته ومنشوراته » وهذا يدل على أن أحمد بن علوان شيخ من شيوخ العلم الذين يقرأ عليهم ويمنحون الاجازات العلمية

لطلب الوظيفة ، فيخفق في مسعاه ــ كما يحدثنا (الخزرجى) او يتوظف (٤) ويحالفه النجاح المؤقت ثم تصادفه النكسة التى تصدم نفسيته ، فتؤثر على مجرى حياته ، فينصرف الى الزهد والتصوف ، فاذا لم تحقق آماله العراض بالحكم والسلطان فليدرك ما يرجوه من العمل الصالح والشهرة العريضة والسمعة الساطعة بالتصوف والزهد • ونخاله اخفق فى الاولى ونجح فى الثانية •

لا نعرف على وجه التفصيل حياته قبل التصوف عدا ما أشرنا اليه ، وهى كما مر يكتنفها شيء من الغموض ويعوزنا لمعرفتها الكثير من الايضاح والتفصيل ، وكل ما ورد عنه ــ قبل التصوف ــ نتف لا تنقع غلة الباحث الطالب لجلاء الحقيقة ، عدا مؤهلاته العلمية التى لا يتطرق اليها الشك ، فهو الرجل الذى دخل الى حظيرة التصوف وهو على جانب من الثقافة والمعلومات الواسعة فاذا صح ما أشرنا اليه فى الهامش من أنه الشخص الذى كان يدعى (الامير احمد بن علوان) الذى بعثه الملك المظفر في سفارة سياسية الى الامير شمس الدين فيكون الرجل قد اضاف الى معلوماته الواسعة وثقافته العميقة ــ قبل التصوف ــ اختباراته السياسية ومرونته العلمية والادارية وخرج من كل ذلك بحصيلة فكرية رفيعة صقلها الجو التصوفي وحلق بها التأمل الروحى والرياضة

---

(٤) وجاء فى المصدر نفسه ص ١٢٦ ج١ فى حوادث سنة ٦٥٦ هـ « ولما علم الملك المظفر ببيعة الحسن بن وهاس ــ فى ناحية صعدة ــ خرج فى عساكره المنصورة الى « الموسعة » ثم أرسل « الامير أحمد بن علوان » الى الامير شمس الدين أحمد بن عبدالله ابن حمزة الى صعدة وقد ظن به الظنون فرجع الامير احمد بن علوان بما ارضاه من العلم فرجع الى تعز • ونلاحظ أولا أننا لم نعثر بقدر ما بحثنا عن أمير فى عهد المظفر اسمه أحمد بن علوان • ثانيا ان علوان بن عبد الله الجحدرى المذحجي ينعت بلقب الشيخ والرئيس ــ نشرنا عنه بحثا خاصا فى مجلة الرائد العدد ١٠ فى ١٦ رجب ١٣٧٩ ــ وهذا الشيخ توفى سنة ٦٦٠ ولا نعلم له ابنا مشهورا فى حياته ولا بعد مماته يدعى أحمد أو يلقب بالامير ونجد فى المصدر نفسه فى ص١٦٨ ج١ فى حوادث ٦٦٦ « ان الملك المظفر تسلم حصون علوان الجحدرى ــ أى بعد ست سنوات من وفاته ــ ولم يذكر الخزرجى أن الملك أو نوابه تسلموها من ابن للشيخ الرئيس علوان يدعى أحمد أو غير أحمد فهل يكون على هذا ان احمد بن علوان كان قبل تصوفه قد دخل فى سلك خدمة الملك المظفر وانه كان يلقب بالامير وانه هو الذى بعثه الملك الى الامير شمس الدين ؟ هذا ما نرجو أن نوفق الى تحقيقه مستقبلا باذنه تعالى • أما وظيفة الكتابة فقد كانت تهيىء صاحبها للقب أمير فى الدولة الرسولية ولدينا الكاتب « خطاب » فقد كان يمنحه الشاعر ابن هتيمل لقب الامير •

النفسية فنمت فيها قوة التأثير والنشاط العقلي وتسامت فيه بغريزة الزعامة من ميدان السيطرة والتحكم الى افق السيادة الادبية والتوجيه العاطفي وترويض الارادة ، فكان على علم تام بمعرفة سياسة الجماهير عقليا وروحيا ، ومن ذلك السبيل عرف كيف يؤثر على الاتباع والمريدين تأثيرا يبلغ حد الدهشة والتحير في التعليل ، واعتبرت العامة تلك (كرامات) الشيء الذي تحيل عليه كل ما يعجزها تعليل امره ، اما ابن علوان المتصوف، فنجد العناية بسيرته اوسع والتزيد فيها اكثر ولنجتزيء منها ، بما يحتمه البحث :

احمد بن علوان المتصوف

يقول الخزرجي في العقود اللؤلؤية ، ـ بعد أن أشار الى نشأته الاستقراطية ـ انه دعته نفسه لقصد باب السلطان والتعرض للخدمة فبينما هو سائر في طريقه عرض له عارض في الطريق فعاد الى بلده فلزم الخلوة • الخ ثم سار الى الشيخ ابى الغيث بن جميل فأخذ عنه اليد والبسه الخرقة •• الخ

ونلاحظ على الخزرجي قوله: دعته نفسه وهو شاب الى قصد باب السلطان والتعرض للخدمة:
اولا ـ ان احمد ابن علوان يذكر الخزرجي نفسه انه ابن كاتب الملك المسعود • وكاتب الملك المسعود ليس ممن يجهل احدا مره أو يهمل ابنه لا في عهد الملك المسعود ـ اثناء غيابه ـ او بعد وفاته، ودولة الملك المسعود لم تكن الدولة التى هزمها عدو حتى يضطهد رجالها السابقون ، بل ورثها نائبه على اليمن (عمر بن على الرسولى) وظل رجال الملك المسعود ـ الامانذر ـ هم رجال العهد الجديد ، وسواء توفى كاتب الملك المسعود فى حياته او بعد مماته فستكون الرعاية والمقررات لابنائه لان مركز مثله مرعى الحرمة في حياته وفي ابنائه بعد وفاته •

ثانيا : ابن مثله ـ مع ما يتحلى به من علم ومعرفة لا يمكن ان يكون مجهول المحل او منسى الاسم، والذى نرجحه ان (احمد بن علوان) خدم السلطان ـ وان كنا لم نقف على نص يوضح نوع تلك الخدمة ومدتها ـ ونفترض انه هو الذى ذكر في الهامش باسم الامير احمد بن علوان حتى نجد ما يثبت غيره ، وانه بعد تلك الخدمة دهمه او اعترضه ما يوجب التخلى والاعتزال ورأى في حياة الزهد والتخلى العزاء والطمأنينة وراحة الضمير فيما فاته من تحقيق آماله الفساح واستعاض بالتسامى الروحى عن الغلبة وعن السلطة الوظيفية بالتأمل ورياضة النفس والسيادة الروحية ورأى وهو المثقف المرن الذى طلب العلم بالتحصيل ـ لا اعتباطا ـ ان يحصل التصوف على يد شيخ التصوف في عصره (ابى

الغيث بن جميل) فيدخله بالطريق المشروع عرفيا ، لا واغلا ولا متطفلا ، فتم له ذلك وأعانه ذكاؤه ومعلوماته وثقافته على تركيز سيادته وتدعيم مركزه الروحي وعمق ذلك سعة افقه في التأثير على النفوس واستخدم قواه الروحية في الايحاء على مريديه واستهواهم بما هو عليه من تعلق بمثل رفيعة من الزهد والتقى والتحكم في الارادة والعزوف عما يتهافت عليه الكثير من معاصريه فاصبح له رصيد من الاحترام في النفوس يفوق صولة الحكم وعزة السلطان ، فقدرته الخاصة وهامت بشخصيته العامة ، ثم تطور التقدير والاعجاب الى غلو والغلو الى تأليه وشرك واتخذ من قبره وثن يعبد من دون الله .

احمد بن علوان (الواعظ)

ان هذه الشخصية التى غلا فيها العامة ـ هى كما سبقت الاشارة ـ كانت متحلية بالعلم والفضل مع قيامها بالوعظ والارشاد وله مواقف في الوعظ مشهورة المقامات مشهودة المواقف ويقول المؤرخ الخزرجي فى العقود ص ١٦١ج١ : (وصنف كتابا في الوعظ نحا فيه منحى (ابن الجوزى) فلذلك يقال جوزى اليمن)

ويقول فى الصفحة التى بعدها : وكان الشيخ ـ في مواقف وعظه ـ أشوق الى كلامه من سامعيه ـ وكان متى رأى ان في السامعين لكلامه من لا يفهمه ، قال معرضا : يا واقفا في الماء وهو عطشان .

ابن علوان (الشاعر)

ويذكر (الخزرجى) انه كان يقول الشعر وكم كنا نود لو وقفنا على عدد من قصائده لندرس منها ميوله واتجاهاته وقد اورد له ثلاثة أبيات يذكر انها من قصيدة طويلة يحث فيها الملك ـ المظفر ـ على العدل وحسن السيرة ومن تلك الابيات نرى ان لذلك الشيخ غاية رفيعة فى الاصلاح الاجتماعى على ما يفهم فى هذا القرن بعد تقدم الفكر الانسانى عن عصره بسبعمائة سنة ومن ناحية اخرى فأنه يكشف لدارسيه عن بعض النواحى الفكرية التى تتصف بها تلك العقلية المفكرة وما يعتلج بين جوانحها من آمال يلمح اليها عقلها الباطن بالرغم عما يستتر وراءه عقلها الواعى من التصوف والزهد من اهداف وغايات وهذه الابيات نضعها تحت نظر القارىء الكريم ليشاركنا الرأى فى المعانى المستترة وراء سجف الالفاظ :

يا ثالث (العمرين) افعل كفعلهما   وليتفق فيه منك السر والعلن

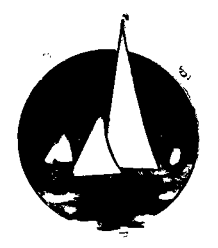
أشد لملك يقول : الناظرون لــــه نعـم المليك ونعم البلدة (اليمن)
عار «عليك قصور » شيدت بذخا وللرعية ، دور كلهـــا (دمـن)

اترى معنا ان تلك الشخصية طمست السطحية الخطوط المضيئة من صفحة حياتهـــا ونظرت للجانب المعتم من ظهر الصفحة مستغنية بالاوهام عن الحقائق وبالسلبية في حياته عن الايجابية في اعماله واقواله ؟؟

ولنختم هذا الفصل بشهادة للمؤرخ (الخزرجى) عن شخصية (احمد بن علوان) بقوله في الصحيفة المشار اليها قبل هذا ما نصه حرفيا : (وكان الشيخ احمد بن علوان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ولا يخاف فى الله لومة لائم) •

النهــــــــاية

ثم دعته سنة الحياة في آخر الامر الى الزواج فتأهل بامرأة من اهل قرية (يفرس) فسكن معها وترك قريته (ذا الجنان) ولم يزل بها حتى توفي ليلة ٢٠ من شهر رجـــب عام ٦٦٥هـ ودفن على باب المسجد وكان له ولد يسكن (ذا الجنان) توفي عام ٧٠٥ هـ •



(بنو الحضرمى)

اسرة شهرت بالعلم والصلاح والتقوى • اول من سكن تهامة من افرادها المعلم اسماعيل ابن على بن عبد الله بن اسماعيل بن احمد بن ميمون الحضرمى خرج من بلده حضرموت للحج وفي (عدن) التقى بالمعلم (حسين البجلى) فترافقا منها للحج وفي طريقهما دخلا قرية العامرية ونزلا عند السيدة التقية المعروفة (بالصالقية) فتزوج المعلم الحضرمى بابنة أخيها وانجب منها اربعة اولاد هم :

١ ـ محمد
٢ ـ على
٣ ـ عبد الله
٤ ـ عبد الرحمن

(محمد بن اسماعيل الحضرمى)

نشأ ببلدة (واقر) واخذ الفقه على الشيخ (ابراهيم بن زكريا) وغيره من أهل بيته بالشويرى ثم ارتحل الى (الضحى) بعزم التوجه الى جزيرة (كمران) لاكمال طلب العلم على الشيخ محمد بن عبدويه فعلم بوفاته فرحل الى بلدة المهجم الى الشيخين عبدالرحمن ابن محمد بن كبانة وابن عطية فقرأ عليهما الحديث والتفسير وتزوج بنت الشيخ بن كبانة فانجب منها اربعة ابناء هم :

١ ـ على
٢ ـ ابراهيم
٣ ـ اسماعيل
٤ ـ احمد

ثم والى (محمد بن اسماعيل) التحصيل على يد الشيخ ابى حديد ايام قدومه الى بلدة المزحف وعلى ابى بكر الجلال البغدادى وعلى بن ابى الصيف والبرهان الحصرى ، وبعد

ذلك اصبح المرجع في عصره في الفقه والحديث والتفسير مع الورع والزهد وصنف الكتب النافعة ومن مصنفاته :

١ ـ كتاب المرتضى اختصر فيه (شعب الايمان) للبيهقى

وكان كثير السعي فى مصالح ذوى الحاجة توفي عام ٦٥١ عن عمر طويل

(الشيخ اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الحضرمى)

ولد سنة ٦٠١ وامه بنت الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن كبانة الملقب بالاعمش ولد ونشأ ببلدة « الضحى » وترعرع في تلك البيئة المتشبعة بروح العلم والتقوى قرأ الفقه وعلوم الدين على والده وعمه على بن اسماعيل كما قرأ على شيوخ والده المتقدمة اسماؤهم حتى اكمل التحصيل واصبح فقيه (تهامة) فى عصره ثم انتقل الى مدينة (زبيد) واستوطنها وتفرغ للتدريس والفتوى وتخرج على يده فقهاء اجلاء كالفقيه (عبدالله بن ابى بكر الخطيب) كما قرأ عليه الملك المظفر الرسولى صحيح البخارى ، وولاه المظفر رياسة القضاة مدة ثم استقال منها • ومن اشهر تلاميذه القاضى جمال الدين العامرى شارح التنبيه والوسيط ، وقد ألف الكتب النافعة ومن مؤلفاته :

١ ـ شرح كتاب المهذب

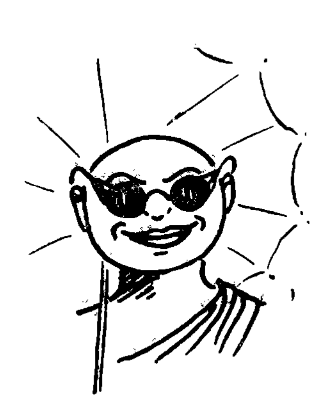
٢ ـ مختصر مسلم

٣ ـ مختصر بهجة المجالس فى السيرة النبوية

ويقول صاحب تحفة الزمن (وجالس الشيخ ابو الغيث بن جميل) هذه ترجمته الجادة العلمية والعملية وما عدا ذلك فرؤى واوهام وكرامات بزعم من ترجم له حتى جعلوه مرة اوقف الشمس لا لشيء الا انه قصد مدينة « زبيد » فآذنت الشمس للغروب وهو بعيد عن المدينة فخشى ان تغلق الابواب فاشار الى الشمس ان تقف فوقفت حتى دخل المدينة ـ هكذا يقول المؤرخ الوشلى غفر الله لنا وله ـ وياليته قال اوقف ابواب اسوار المدينة لا تغلق حتى يدخلها ، وهو شيء لا يصدقه العقل فضلا عن أن يوقف دورة

الكون ، ويورد (الوشلي) كشاهد بيتين (لليافعي) المتصوف اليمني الذى سـبق ان اشرنا الى بيته فى الفصل الخاص (بكرامات الصوفية المزعومة) يمدح ابا حربة وها هو يمدح الشيخ الحضرمي ويشير الى ما اوردناه ، ونرى الاكتفاء بالاشارة الى البيتين عن ايراد نصهما •

ويقول الوشلي في ص ٦٦٧ ما يأتي : (وكان مع جلالة حاله كثير الزواج حتى كان يقول لاولاده لا تتزوجوا من نساء زبيد الا بكرا فانى اخشى ان تقعوا على بعض من قد تزوجت بها) توفى رحمه الله فى ذى الحجة سنة ٦٩٦ ودفن في قرية الضحى •



(بنو المكدش)

نعتهم المؤرخ وطيوط فقال (السادة بنو المكدش بن المثبت بن سلمقة) وقال صاحب تحفة الزمن (وفي بلاد الغنميين منصب كبير وهم بنو المكدش فاولهم محمد المكدش تصوف وتعبد ـ وظهر صيته ـ وهو محمد بن المكدش بن المثيب ـبمثلثةـ بن سلقمة من ذرية خذ بن غنم)

(ابو بكر بن محمد المكدش)

لم نقف على تاريخ ولادته وانما يذكر صاحب تحفة الزمن : (انه تفقه على الشيخ ابراهيم بن زكريا المتوفى عام ٦٠٩ هـ وانه صحب الفقيه محمد بن الحسين البجلي والشيخ محمد بن ابى بكر الحكمى وان شيخه ابراهيم بن زكريا كان يبعثه الى الجبل من برع والضامر ليعلم اهل تلك الجهة ويرشدهم) ثم صارت السيادة فى تلك الجهة لذريته •

يوسف بن ابي بكر بن محمد المكدش

تفقه بدوره على يد الشيخ ابراهيم بن زكريا وشهر بالتقوى والزهد وخلف والده في مركزه الروحي وبرز في طريقة التصوف ووصل الى درجة من النفوذ الروحي فاقت بمراحل مكانة والده وفتن العامة بشخصيته فى حياته وبعد مماته وقد اورث مركزه الروحى لابنه اسماعيل الذى انجب (محمد بن اسماعيل المكدش) الآتى ذكره

(محمد بن اسماعيل المكدش)

ابرز اسرة هذا البيت بعد جده يوسف ، فقد سطع اسمه وعمقت سيادته الروحية وعلى وجه الاجمال فان هذه الاسرة مع ما شهرت به من الصلاح والتقوى والعلم فانه يخالط تاريخها ويمازج سيرتها العامة الشطحات الصوفية والرؤى وما ينسب الى الكرامات شأن اغلب المتصوفة وكانت لهم زوايا واربطة وفتوح ونذور وهبات تدر عليهم الدخل الوافر وتوفى سنة ٧٩٨ هـ اما من سبقه فلم نقف على تاريخ وفياتهم ••

الشيخ احمد بن عمر الزيلعى العقيلى

نعته صاحب تحفة الزمن بالفقيه الصالح العلامة وانه كان مشهورا بالعلم والورع والزهد والعبادة وذكر المؤرخ الوشلى ما ياتى :

(ان الشيخ احمد بن عمر الزيلعى العقيلى منسوب الى عقيل بن ابى طالب اخى الامام على فهم هاشميون قرشيون اولاد عمنا عقيل الذى قال فيه رسول الله صلى عليه وسلم ، وهل ترك لنا عقيل من دار) وقال الشرجى (هو العباس احمد بن عمر الزيلعى العقيلى الهاشمى من عباد الله الصالحين ومن اعظمهم مجاهدة وعبادة وزهادة) الخ تلقى القراءة والفقه على الشيخ حسان صاحب (الحرور) ثم قرأ كتب الغزالى وبرع في علم السلوك ـ التصوف ـ ثم انتقل الى موضع يسمى (اللحية) ـ وهى المدينة التى نسبت اليه ـ وبنى مصلى ، موضع مؤخر مسجده ـ المعروف ـ ثم بعد ذلك اسس زاويته في (المحمول) وعاد الى (اللحية) وبنى مقدمة مسجده .

انه من العباد المتقين الذين تزيد الكاتبون في سيرتهم وغلوا في شخصياتهم . والغلو ضلال مبين واحسن ما نسجله هنا شهادة مؤرخ كان قريبا جدا من عصره وهو الجندى المؤرخ المعروف قال : سألت احد الفقهاء الملازمين له عن سيرته فقال : (كان يخرج من داره في الثلث الاخير من الليل الى المسجد فلا يزال مصليا تاليا للقرآن حتى يطلع الفجر . فيركع ويصلى الفرض ثم يشتغل بالذكر الى طلوع الشمس ثم يركع الضحى ثم يقبل على اصحابه يعظهم ويتكلم معهم بالحكمة حتى يرتفع النهار ثم يقوم الى البيت ويدعو الناس للغداء فوجا فوجا الى الزوال ثم يتوضأ ويخرج الى المسجد فيصلى التحية فاذا ثبت عنده الزوال صلى الظهر بعد الاذان والسنة . ثم يشتغل بالذكر والتلاوة حتى يصلى العصر ثم يقبل على الناس يعظهم ويرشدهم ساعة . ثم يدخل داره ويستدعى الناس فيعشيهم الى الغروب ثم يدخل المسجد فيصلى المغرب ثم يمكث حتى يغيب الشفق فيصلى العشاء ويمكث فى المسجد الى الثلث الاول ثم يدخل داره فهذا دأبه مدة اقامته) .

هذا ما ذكره الجندي ونجده لم يعفه من التزيد والكرامات كما غلا فيه غيره وشحنوا سيرته بما نسب الى امثاله من زعماء المتصوفة • وكان كامثالـه تنهال عليه سيول الفتوح والنذور وينفقها في قرى الوافدين واطعام البائسين ـ كما مر بك آنفا • وكان في زاويته في (اللحية) و (المحمول) مائة فقير وكان يسمح لاصحابه بالدروزة ومن دروز طـرده

كان نفوذه الروحي يمتد من وادي « مور » الى وادي (خلب) ويروي صاحب تحفة الزمن (انه استوهب من بعض القبائل اربعة عشر قتيلا فوهبت له ولم ينزل عن دابته)•

مؤلفـــــاته

يروي صاحب تحفة الزمن ان الشيخ الزيلعي صنف كتابا اسماه (ثمرة الحقيـــقة ومرشد السالك الى الطريقة) وان له فتاوى على مسائل يقول فيها الجواب عـنـد علماء الشريعة كذا وعند علماء الظاهر كذا وعند الباطن كذا ولم نقف على كل ذلك •

تلاميـــذه

جاء في تحفة الزمن ان له تلاميذ ـ اصحابا ـ استفادوا من حلقته منهم :

١ ـ الفقيه عمر بن السكدول العبسي

٢ ـ الفقيه سميل النزاري

٣ ـ الفقيه ابراهيم الشامي

٤ ـ الفقيه احمد الادبع

٥ ـ الفقيه سالم من اهل السالمية

٦ ـ احمد يعقوب البحر من بني العجيل بقرية (الحادث)

٧ ـ بنو ايوب من اهل وادي (خلب)

٨ ـ بنو الاعوص من اهل وادي خلب

٩ ـ بنو العجمي من اهل وادي خلب

١٠ ـ بنو السيقل من اهل وادي خلب

١١ ـ الفقيه محمد بن مهنا والد عبد الله المقدم



(ابناؤه)

رزق عدة ابناءومن اشهرهم ابراهيم وعبدالقادر وعيسىوابو بكر وعمروعلى . سلكوا طريق والدهم وتوفى عيسى غريقا فى موضع يسمى « مهرمل » غـــربى وادى سردود فقيل لابنائه الهراملة .

وفـــــاته

وكانت وفاته عام ٧٠٤ في مدينة اللحية رحمه الله تعالى ..



الشيخ عبد الله بن حسن الكميت الملقب بحامى الحمى

شخصية طموح لامعة ، واذا كان شعر المرء صورة من شعوره وتعبيرا عما يختلج في عقله الباطن فهو من ابطال الفروسية وعشاق المجد الرفيع وشعراء الفخر والحمـــاسة ـ وانما للبيئة والجو والعصر تأثيرها ـ بعد قضاء الله وقدره في تكييف وتحديد اتجاهات الانسان في هذه الحياة المحدودة المدى • طلب العلم فنال حظه وطلب رئاسة قومه فسود ـ وهو من بيت السيادة في قومه ـ وحاول كما يقال ما هو أبعد مـــن الرياسة فألقى القبض عليه وسجن فى مدينة (زبيد) ولم يطلق سراحه الا بعد ان ظن انها خمدت فى نفسه الطموح المتطلعة الى معانى الرفعة والمجد ـ جذوة الامل وهيهات فقد ظلت منارا في الزهد وعلما من اعلام الجنوب حتى توفاه الله وغلا النـــاس في شخصيته وحار أشباه العوام في تعليل طموحه وتحليل ادوار حياته السياسية والادبية فاراحوا انفسهم وعبدوا قبره بالزيارة والدعاء والخشية والذبح والنذور وهذا هو الضلال المبين ••

عبد الله بن الحسن في نظر مؤرخى عصره

جاء فى تحفة الزمن : (ومن بيت مود بن الكميت الفقيه عبد الله بن حسن صاحب القناوص ـ ويلقب بحامى الحمى ـ امتحن بما امتحن به ابن عمه ووشى به الى الملـــك المؤيد الرسولى بانه يدعو الناس الى مذهب الزيدية وحصل عليه الاجماع من قوم يظن بهم الخير فارسل الملك الى والى المهجم يأمره بالقبض عليه واشخاصه الى زبيد فى سنة ٧١٣ هـ فادخل السجن اياما ثم اخرج منه واوقف بزبيد فسكن مع الفقيه ابن جامع بن احمد العجمى خطيب زبيد)

(وذكر المؤرخ الجندى انه اجتمع به في سنة ٧١٥ هـ فى زبيد واثنى عليـــه بحسن الالفة وعلو الهمة وقراه للضيف مع الغربة والاسر وانه قرأ في اثناء اقامته بزبيـــد كتب

الحديث حتى اكمل الغرض من الحديث ثم اذن له الملك في الرجوع الى بلده وأهله بعد ان استحضره الى مقامه وأذن له في اقتراح حاجته فرجا من الملك ان يجعل مضيفه ـ الفقيه ابن جامع الذى استضافه ـ خطيبا لزبيد فاجابه الى ذلك) •

ونلاحظ على ما جاء في قول صاحب تحفة الزمن : (وامتحن ووشى به الى الملك بانه يدعو الى مذهب الزيدية) نلاحظ ان تلك الدعوة التي وشى به من اجلها كانت تعتبر تهمة سياسية كما هو معروف في تاريخ ذلك العهد والتعليل المنطقى لذلك ان الدولة الرسولية تتزعم مذهب السنة والجماعة وكانت تعتبر نفسها الحامية له ضد التشيع الذى يتزعمه أئمة الزيدية في القسم الاعلى الشمالى وكأن معنى دعوته هو التمهيد لثورة يتزعمها ضد الدولة الشرعية ـ آنذاك ـ في حال انه شافعى المذهب وقد يكون طموحه جنى عليه فاتخذت تلك التهمة ذريعة للقبض عليه • وبروز الشخصية وتألق مجدها كثيرا ما يثير الحسد ويخلق الاضداد ويلهب الغيرة فى نفوس المتخلفين عن تقدمها والعاجزين عن ادراك شأوها ، يختلقون لها الذنوب ويصنعون لها العيوب وبدلا عن تنمية حوافز التقدم والعمل المشرف الذى سما بها يركنون الى الدعة واقامة السدود وحفر الهوات ونصب الاشراك والمكايد لعرقلة تقدمها • فيضيفون بذلك برهانا عمليا عن عجزهم عن البناء وفشلهم العملى الا فى التخريب والاعمال السلبية • اما اصحاب النفوس الكبيرة والمواهب الجليلة فتنمى تلك المكايد فى نفوسهم قوة المقاومة فما عاقهم عائق الا وتحدوه وساروا الى غاياتهم مع الاستفادة من كل تجربة مما يعزز مواقفهم ويسهل سبلهم الى اهدافهم النبيلة وغاياتهم الرفيعة ونرى فى تلك الاسرة غيره من حاول التحليق في أفق أبعد مدى من جو الاسرة الذى لا يعدو الشهرة بالصلاح والزعامة الروحية المحلية الى مجال اوسع وليس لمثلهم ـ في ذلك العصر ـ من عون سياسى بالنسبة الى قرب الجهة الا أئمة الزيدية الذين هم فى نفس الوقت ثائرون ناقمون على الدولة الرسولية •

ويلاحظ القارىء الكريم ان صاحب تحفة الزمن يقول : انه ـ اى الفقيه عبد الله المترجم له امتحن بما امتحن به ابن عمه قبله ـ وعلى كل فما ناله هو ضريبة المجد •

« عبد الله بن حسن الفارس الشاعر »

ان هذه الشخصية لها خطرها وقد يجد القارىء في قصيدته الفريدة التى بقيت كأثر وحيد من آثاره الادبية ، خير ما يصور نزعته القوية المكبوتة أصدق تمثيل

وتبرز الخطوط العميقة من ملامح نفسيته المتسامية المستترة خلف جلباب التصوف وقناع الزهد •• وهذا لا ينافي ما هو مشهود له به من الصلاح والتقوى في حياته • وانما صلاح لم يقعد به عن تحقيق آمال كان يحاول تحقيقها فى مدى أوسع وغاية اسمى

ولنستنطق شعره فى قصيدته المشهورة الذى هو خير شاهد واقوى دليل ، والتى نظمها في اثناء المحنة التى اصابته وهى تنقسم الى ثلاثة مقاطع ••

١ ـ الاول : يستدعى قومه ويهيب بهمته في استفهام طلبى ويستحث حميتهم ويتساءل عن الحى ومغانيه وملاعبه وغوانيه وروابيه في استفهام يذيب الاكباد ويثير الاشجان بلغ فيه الغاية من حسن البيان وبلاغة التعبير وجمال التصوير

٢ ـ والثاني يفتخر بمزاياه وينوه بمآثره ومواقفه ويشيد بكرمه وابائه وصبره وشجاعته ••

٣ ـ في الصبر والتأسي وضرب الامثال فيما يجمل بالحر الابى والسيد النبيل في مواقف الشدة ومواطن اليأس والمحنة •

ولنستعرض القسم الاول ولنشر الى هذا الاستهلال المشرق الذى يبتدؤه باداة الاستفتاح التى يليها الاستفهام بهل وهى هنا للاستفهام عن وجود شيء لشيء : انظر لاستهلاله ••

ألا هل لما قد حل بى من أسى حد	**وهل فى (ظبا) عزمى اذا احتجتها حد**
وهل عاد قومي يفهمون اشارتى	**فارسلها • أم قدهم للبلى بلد**
وهل عاد أمرى نافذا فى عشيرتى	**ونهيى أم للقوم قد غير البعد**
وهل هم كعهدى مانعون لجارهم	**وهل عيشهم رغد • وهل ماؤهم شهد**
وهل عاد واديهم تسيل شعابه	**وهل ظله ضاف ، واطياره تشدو**
وهل سوحهم خصب الذرى آمن بهم	**كثير الهنا • أم للهنا خلف النكد**
وهل مطرو من بعدنا واكف الحيا	**وهل فى ربا اوطانهم جلجل الرعد**
جحاجحة لا يلتقى العار مسلكا	**اليهم • ولا يأوى صدورهم الحقد**

وهل غانيات الحي يرتعن في ربا ملا به ، مثل الدمى • عيشهم رغد

وكيف الحمى والرقمتان وعالج•• وكيف اللوى والغور والعلم الفرد

وكيف قبـــاب المنحنى وربوعـه وما حال (هند الحى) لاعدمت هند

تأمل ايها القارىء الكريم هذه الابيات العارة التى تشع بالاضواء وتموج بالظــلال وتنبض بالحياة وتزخر بالحركة التى تتراءى لعينيك فى هدوء تارة وفى عنف اخـــرى وهو مع كل ذلك يشركك فى مجهوده ـ بكل تواضع ـ بهذا الاستفهام المتكـــرر فى لهجة محببة الى النفس ذات نغمة عذبة ورنين اخاذ تستلذه الاذن وتنتظر معـــاودته فى اشتياق • و « هل » هنا تارة لطلب التصديق واخرى لطلب الحكم الغير المعلوم •

ولنقف وقفة يسيرة حول القطعة الاولى لنستشف رواءها الرقراق وجمالها الاخـــاذ انظر للجناس الغير المتكلف فى شطرى البيت الاول فى صدره وعجزه •• فالاول بمعنى غاية اى حد ينتهى اليه ذلك الاسى • والثانى بمعنى الحد ارهاف الحد ، أى شـــحذ السيف ليكون اشد مضاء ، ثم بعد ذلك الاستفهام الذى وجهه الى نفسه استفهام الواثق من اعتداده بمزاياه ، اخذ مستفهما عن قومه وهل هم على استعداد ليرسل صرخة مدويـــة أم قد تبلدت احاسيسهم للبلى الواقع والحادث المروع • ويعطف مستفهما هل عاد لكلمته المسموعة وامره المطاع صدى فى عشيرته أم قدغيرهم البعد ؟ ويكرر الاستفهام هل هم على ما يعهد من المنعة للجار والذود عن الحياض وتطغى عليه العاطفة فيتساءل مستفهما عـــن احوالهم ومعاشهم هل كما كان يعهد من رغد العيش وعذوبة المياه التى هى عنصر الحياة بالنسبة الى البادية التى اهم شيء لديها وفرة الماء للسقى والماشية والشرب •

وبعد ذلك تحلق شاعريته فى صفاء وتعزف على اوتار العاطفة والحنان الفياض وقـــد ترآى له الوادى الخصيب متدفقا تشرق به الشعاب وتفهق بمياهه الغيطان ويتخيل ظلال اشجاره الضافية وتغريد طيوره الشادية ولنتجاوزه الى البيت الذى بعده المملوء بالاحساس السماعى الرنان حتى لتكاد تسمع بأذن رأسك جلجلة الرعد المرن في روابى ارضـــــه وسماء وطنه وهو يقول :

وهل مطروا من بعدنا واكف الحيا وهل فى ربى أوطانهم جلجل الرعد

ثم يتساءل مستفهما عن الجنس اللطيف من فتيات الحي وآوانسه الجميلات وهـــل يرتعن ناعمات كأنهن الدمى في ملاعب الصبا ومسارح الحمى • ثم يغير الاستفهـــام ب

(كيف) وهى التى يستفهم بها لتعيين الحال فيكنى عن تلك المواقع باسماء (كلاسيكية) وهى اعلام لمواقع مشهورة ويا حبذا لو سمى لنا جهاتها بدل " الرقمتين وعالج، وانما هو التقليد الذى ارتبكس فيه كثير من الشعراء ، وما احسن الشطر الاخير في القطعة وهو ينشد عن (هند الحى) او الفتاة المثالية في مجتمعه وموطن قومه ،

اترى هذا الشعر الجميل الجامع الى التجانس الموسيقى بين الالفاظ في تنغيم جميل يقطر بالرقة ويشع بالصفاء وتلك الكلمات التى ترسم الصور بالرسم اللفظى المحسوس بالعيان تارة وبالسماع اخرى ؟ وندع الحكم بعد هذا التحليل الموجز لذوق القارىء الحصيف •

ولنأت الى القطعة الثانية ، واذا كان الشاعر قد افتخر فيها بمزاياه فهذا ليس بدعا فالشاعر من طبيعته ان يكون ممتلىء الشعور بقيمته وهاهم افذاذ الشعراء في الشرق والغرب مثل (المتنبى) وابى تمام والبحترى وشكسبير وبيكون وغيرهم كانوا من اشد الناس افتخارا بمواهبهم وتغاليا بقيمة انفسهم وتغنيا بمزاياهم •

وقد بدأ القطعة بهذا الاستفهام التعجبى

وهل قصددهرى، بالذى قد اصابنى	**يجرب صبرى؟ أم له فى الاذى قصد ؟**
نعم انا يا دهرى الذى انت عارف	**صبورعلى ما ناب ، ثبت القوى صلد**
ابى ، قناتى لا تلين لغامز	**رفيع العلا ، من بعض أعبدى المجد**
حليف الندى سم العدى مردى الردى	**بعيد المدى نجم الهدى جاحم برد**
قليل الكرى سامى الذرى باذل القرى	**شديد العرى، صلب القرى جلمد جلد**
خليل القنا قالى الخنا سامى البنا	**دنار الغنى مفنى العنى قسور فهد**
عظيم السنا حامى الحمى مروى الظما	**هلال السما ، تجلى بى الظلم الربد**

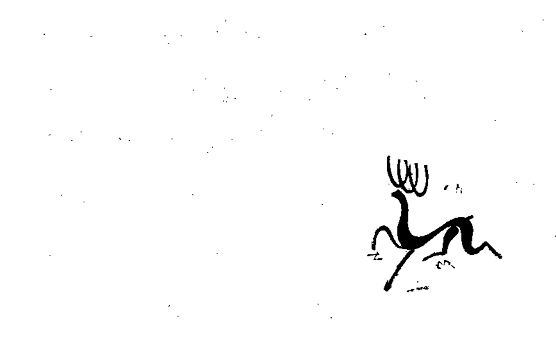
ارأيت الى هذا الاعتداد والثقة بالنفس والتغنى بالنبل والبطولة والتمجيد للشجاعة والاباء والتحليق فى اجواء الفخر وآفاق المثاليات الرفيعة ؟ أرأيت ايها القارىء الكريم الى السمو والجلال في هذه الشخصية والروعة والقوة في هذا الشعر المملوء بسمو السيادة وقوة الارادة !؟•

ان الشيخ وقد بلغ ذروة الفخر فى التغنى بمزاياه والاشادة والاعتداد بنفسه ، شعر

ـ تلقائيا ـ بأنه رجل دين وفقه وان ايمانه القوى هو خير عون لتحمل تلك المحنة الطارئة وان ايمانه بقضاء الله وقدره يزيد صلابة تلك الروح قوة ومضاء فنراه يخلع لامة الفارس ويلبس جلباب الفقيه ويقول بلسان نفس يعمر جانبيها الايمان ويغمر قلبه يقين التقوى وجلال الاسلام فيؤوب الى وقاره محوقلا مرجعا ..

واني بحمد الله اعلم انمـــا قضى ، لى مالى من ملاقاته بـــد
وان الذي لم يقض ليس بكائـن وان البلى فى المبتلين له حـــد
وان كنت قدروعت من بعض حسدى فلله فيما نابني الشكر والحمد

ولنقف من القصيدة عند هذا القدر . وقد اشرنا الى اتفاق المؤرخ الجندى به وهـــو تحت الاقامة الجبرية فى زبيد من عام ٧١٣ الى سنة ٧١٥ وقد ظل في زبيد منذ القبض عليه الى اطلاقه ، عامين . ويظهر ان تلك المحنة لم تخمد وهج تلك الشعلة فقد عاد الى وطنه وظل به الى ان ادركته الوفاة ولم نجد اشارة الى عام وفاته فى تحفة الزمن او الوشلي وانما نقدر انه توفي في الربع الاول من القرن الثامن تغمده الله برحمته .



(بنو العجيل)

بيت شهر بالعلم والتقوى والسيادة •• ترجم لهم صاحب تحفة الزمن في تاريخ سادات الزمن بما يأتى (واكبر بيت وابعد صيت واوفر حرمة واكثر جلالة بيت بنى العجيل واولهم الفقيه على بن عجيل واسمه عمر بن محمد بن حامد) وقال المؤرخ وطيوط ص ١٣٧ : (وقيل عجيل هو عمر بن محمد بن مغرب بن عبيد بن محمد بن الفارس بن زيد بن ذؤال بن نشرة) • ومن (عمر) (١) بدأ سطوع اسم هذا البيت ، وقد انجب ولدين هما (على) و (عثمان) والاول هو أول فقيه في هذه الاسرة •

على العجيـــــل

اخذ الفقه عن الفقيه (عبد الله بن احمد الصريدح) (٢) وبرز اسمه وقصد للفتوى (٣) ولا نعلم شيئا عن حياته بالتفصيل ولا تاريخ ولادته او وفاته ونقدر انه عاش فى النصف الاول من القرن السادس ، وقد انجب ثلاثة ابناء هم :

١ ــ موسى ٢ ــ محمد ٣ ــ ابراهيم

---

(١) قال «الوشلى» فى ص ٧٢٣ كان عجيل صاحب ماشية ثم اشترى ارضا وازدرع يفعل الخير ويتعانى الحجاج ويصحب اكابر من اهل مكة والمجاورين بها ولهم فيه حسن ظن ازدحم مع اصهاره على بئر فغطوا دلوه فذبح عجلا وعمل جلده دلوا من ساعته فقالوا « صاحب العجل » ثم حذفت الاضافة وصغر •

(٢) جاء فى طبقات فقهاء اليمن لابن « سمرة » ص ٢٤٥ عند ذكر الفقيه « عبدالله بن احمد الصريدح » : وعنه اخذ الفقيه (على بن عمر العجيل) •

(٣) روى المؤرخ « وطيوط » ص ١٣٨ انه بعد وفاة الفقيه موسى وصل الى ابنيه رجل يستفتيهما فى بعض المسائل ــ كما كان يقصد الفقيه ــ فما حارا جوابا فقال لقد ضاع اسم الفقيه فخجلا من جهلهما ، واتفقا من ساعتهما ان يقوم احدهما بأمر الاسرة ويرحل الآخر للطلب فرحل « موسى » للطلب •

« موسى بن على العجيل »

طلب الفقه على الفقيه (ابراهيم بن محمد بن زكريا وكان من زملاؤه فى الدراسة محمد بن الحسين البجلى) وعبد الله بن جعمان و (على قاسم الحكمى) قال عنه صاحب (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن الفقيه حسين الاهدل) ما يأتى :

كان موسى بن على عالما باصول الفقه وفروعه وانتهت اليه رياسة الفقه والفتوى ، وقد كتب له شيخه (الكرمانى) في اجازته : « علامة اليمن واعجوبة الزمن » وبعد ان تم تحصليه عاد الى وطنه وقد سبقته الشهرة الذائعة والسمعة الساطعة ورأى زميله البجلى ما رده عليه مركزه الروحى من الوجاهة والزعامة فجدد الصحبة (٥) معه ومع رفيقه الجديد المتصوف (محمد بن ابى بكر الحكمى) وهناك الشيخ على بن عمر الاهدل وما قد حازه من مركز روحى لماع من نجاح في اجتذاب العامة كل ذلك ـ كما يظهر ـ دفعه الى حظيرة التصوف فانتهج طريق القوم ، وترسم بالاخص طريقة الاول العلمية فانتهج سبيله في الشفاعات والاتصالات بولاة الامور واعانه مركزه العلمى فاصبح علما يشار اليه بالبنان وزعيما روحيا تحنى لوجاهته الاعناق .

وقد اشرنا في الهامش الى جده (عمر الملقب بعجيل) وما كان يقوم به من العلاقات وخدماته للحجاج وصحبته لأكابر اهل (مكة) والمجاورين وسوف يلاحظ القارىء الكريم ان تلك الاسرة اتخذت من قيادة حجاج (٦) جهتهم شبه زعامة لأن رئيس القافلة في تلك الازمنة ـ المضطرب فيها حبل الامن على طول طريق الحج ـ ينبغى ان يكون له نفوذ ادبى يدعم به الصداقة بينه وبين رؤساء القبائل على طول الطريق ، مع حسن

(٤و٥) ص ٤ تاريخ « وطيوط » ص ١٣٨ المصدر نفسه

(٦) جاء فى تاريخ وطيوط عن الفقيه ابراهيم بن محمد بن الحسين البجلى « قيل ان السادة بنى العجيل كانوا اذا ارادوا الحج دعه رجاهم حتى يتقدموا عليه ص ١٠ وجاء فى المصدر نفسه ص ٩٢ ان احمد بن موسى حج فى احد حججه فلما عاد من زيارة المسجد النبوى اعترضه عرب البادية فأوقفوه هو والركب ثلاثة ايام حتى فكهم امير المدينة المنورة. وورد فى المصدر نفسه ص ٩١ انه يحج بالقافلة

تصرف ومعرفة بعوائد البادية وشؤون الرفقة ومداراة الشاذين من صعاليك البوادى وصبر واحتمال تحتاج الى رياضة نفسية وتحكم فى الادارة واحترام للذات واهلية من التقوى هى الرصيد الخلقي والرمز الاعتبارى لتكوين الشخصية المثالية ، التى تثير الاعجاب وتفرض احترامها الادبى وسلطانها الروحى فتبهر العامة التى تريح نفسها من تعليل ما يسمو على مقاييس تفكيرها المحدودة بنسبة ذلك بـ (الولاية) بزعمهم والكرامة فى عرفهم •

وجد هذه الاسرة وهو عمر لم يكن كما تدل المصادر على شيء من العلم الواسع فكان ذلك سر القصور في التحليق ، وكأنه شعر بذلك والنقص ـ لدى العاقل ـ وسيلة لطلب الكمال فدفع ابنه (عليا) أو اندفع الولد الذكى تلقائيا لطلب العلم فحلق به الى مدى أبعد شاوا من مدى والده بآفاق وأهله لوضع اساس قوى لرفع شأن ذلك البيت ، وكان لذلك العصر الذى ساد فيه سلطان الصوفية ووجدفيمقتبلسياسة الايوبيين في اليمن الجو المهيأ والوسط الصالح للتوالد والنماء • وقوة الدفع لاشعاع سيال التأثير الروحى عامل من اقوى العوامل في خلق المجال للدور القيادى الصوفى والدولة همها اختصار الطريق لفرض سلطتها وبسط سلطانها واستحصال الخراج الذى يدعم مركزها غير مهتمة لا باصلاح دينى ولا باصلاح اجتماعى ، والصوفية أداة ووسيلة لترويض الجمهور باسهل الوسائل باحترام شخصية الزعيم وتقدير مكانته وقبول شفاعته ـ كما مر بك قبله ـ

الا ان الفقيه موسى العجيل مع مااشرنا اليه منمركزه العلميفقد ادركتهالوفاةـمبكراـ وعمره نيف وثلاثون عاما (٧) وهو عمر قصير بالنسبة الى ما يتطلبه العمل لبنيان المجد ، وترك ولدين صغيرين هما (محمد بن موسى) و (احمد بن موسى) في كفالة عمهما الفقيه (محمد) وبعد ان توفى كفلهما عمهما الفقيه (ابراهيم)

(محمد بن على العجيل)

قال صاحب تحفة الزمن : كان عالما بالحديث والعربية وتغرب هو واخوه « موسى » لطلب العلم الى جبال اليمن وعادا بعد اتمام التحصيل وبعد عودتهما توفى اخوهما الاكبر موسى فورث (الفقيه محمد) مركزه وكفل ابنيه ولم تطل مدته فقد توفى فخلفه اخوه ابراهيم وكفل اليتيمين •

---

(٧) تحفة الزمن فى تاريخ سادات اليمن •

(ابراهيم بن على العجيل)

هو اصغر اخوته توفي والده وهو في بطن امه وتوفى اخواه وهو في دور التحصيل فتغرب لطلب العلم ، وقال صاحب تحفة الزمن : (تغرب لطلبه فادرك مراده في اقرب زمن وبرع في الفنون كلها وعدم نظيره في وقته في الفقه واصوله والحديث والتفسير والنحو واللغة والفرائض) ونجد في تاريخ (وطيوط) وفى (تحفة الزمن) ما ينسب اليه من الكرامات والرؤى وغير ذلك •

(احمد بن موسى العجيل)

ولد في شهر رمضان سنة ٦٠٨ ونشأ في كنف والده الفقيه (موسى بن على العجيل) في بيت علم وفضل وفقه ودين وسيادة روحية • وامه بنت الفقيه ابى عبد الله بن محمد جعمان (١) وتوفي ابوه ـ كما سبق ـ فكفله عمه (الفقيه محمد) ثم كفله بعد وفاته عمه ـ (الفقيه ابراهيم) وقرأ عليه اثنتى عشرة سنة كما قرأ على غيره من شيوخ عصره •

ومن شيوخه بمكة (٢) :

١ ـ الامام محمد بن مسدى المهلبى

٢ ـ سليمان بن خليل الصيدلانى

٣ ـ اسحاق بن ابى بكر الطبرى

٤ ـ ابن مقير

٥ ـ محمد بن ابراهيم الفشلى

وقد اجازه ، جميعهم ، وقال عنه صاحب العقود اللؤلؤية في ص ٢٥٧ ج ١ : (هو الامام العلامة قطب اليمن وعلامته كان اماما في الفقه والاصول والنحو واللغة والحديث والفرائض وهو من احسن من ضبط الفنون وقرت بمذاكرته العيون ، كان من ائمة المسلمين عالما عاملا صالحا ورعا زاهدا ، لم يكن في الفقهاء المتأخرين ـ في الجنوب ـ من هو ادق منه نظرا في الفقه ولا أعرف منه ، غواصا على دقائقه موضحا لغوامضه ، كان مبارك التدريس دقيق النظر فيه والى ذلك اشار الامام ابو الحسن على بن محمد

---

(١) هو الفقيه ابو عبد الله محمد بن جعمان كان من مشاهير فقهاء اليمن اخذ عنه موسى ابن عجيل الفرائض وكان زميله فى التحصيل عند الشيخ ابن زكريا وقد شهر بيت « جعمان » بالعلم وانجب عددا من رجال الفقه والدين •

(٢) تحفة الزمن للاهدل

الاصبحي صاحب المعين حين سئل عن شيء من معاني كلامه على بعض مشكلات المهذب ، فأجاب عن ذلك وبينه ثم قال : مثلنا ومثل هذا الامام ، كما قال ابو حامد الاسفراييني في حق ابن شريح : (نحن نجرى مع ابي العباس في ظاهر الفقه دون دقائقه) الى ان قال : (وكانت الملوك تصله وتزاوره وتعظم قدره وتقبل شفاعته ، ويريدون مسامحته بمايجب عليه من الخراج فلا يقبل ذلك ويقول : احب ان اكون من جملة الرعية الدافعة ، وكان كثير الحج بالناس الى مكة المشرفة فاذا حج يحج معه خلق كثير ، فلا يكاد يتعرض لهم احد بسوء من العرب ، فكانت القافلة تسير في عصره وبعد عصره بدهر طويل، انما يقال لها قافلة ابن عجيل سواء سار معها او سار معها غيره ، ولم يكن احد من فقهاء عصره الا افتقر الى فقهه ومعرفته ولم يزل على ما ذكرنا من التدريس ومجاهدة النفس الى ان توفاه الله •

وقال المؤرخ وطيوط في ص ١٣٩ بعد ان افاض في الثناء عليه : كان الفقيه احمد طويلا سمينا وكان يصحب الشيخ محمد بن يعقوب بن الكميت ـ المتصوف المعروف ـ

هذا موجز تاريخ حياته العلمية الحافل ، بالصلاح والعلم والورع اما من الناحية التاريخية والاجتماعية ، فهو الغرة الساطعة في بيت العجيل فلم يكن قبله ولا بعده من ذلك البيت من بلغ مكانته ، بل هو الذى رفع ذكر من تقدمه منهم وورث سيادته الروحية لمن تأخر منهم ، واليه نسبت مدينتهم (بيت الفقيه) وقد بقي احترامه الادبي ونفوذه الروحي يضفي على مدينته حرمة ادبية قرونا ، ويحدثنا صاحب تحفة الزمن في حوادث سنة ٨٢١ هـ انه لما قام العلامة (ابن المقرى) بتشديد النكير على بدع المتصوفة بزبيد تعاون الصوفية وعلى رأسهم (المزجاجي وابن الكرمانى) وحرضوا رجال الملك الناصر فهاجموا داره وقبض على بعض طلبته، فاضطر الى الفرار الى (بيت الفقيه) واستجار ـ هكذا ـ هناك نحو سنة فسلمه الله من اذاهم حتى عطف الله عليه قلب الملك وبطبيعة الحال ان (بيت الفقيه) مدينة من المدن التابعة مباشرة للملك الناصر وانما كانت في ذلك العصر وعند اولئك الناس لها حرمة في نظرهم • اما صاحب تحفة الزمن والمؤرخ وطيوط ومن قبلهما (الجندى) فقد غلوا في شخصيته ونسبوا اليه من كرامات الولاية ـ على حد تعبيرهم ـ ما لايبعد ان يكون تزيدا على ذلك الحبر الجليل ••

توفي تغمده الله برحمته في ٢٥ من شهر ربيع الاول عام ٦٩٠ عن عمر بلغ ٨٢ سنة •• وقد انجب ابناءفضلاء واحفادا اجلاءومن اشهرهم محمد بن موسى بن احمدواسماعيل ابن ابراهيم بن موسى بن احمد ••

(الشيخ على بن عمر الاهدل)

هو المؤسس الاول للبيت الاهدلى المشهور بالسيادة والعلم والتقوى وهو من اشهر رجال التصوف في عصره وبعد عصره في تهامة ، كان بينه وبين البجلى صحبة ومودة ثم بينه وبين الحكمى وكانوا كثير التزاور لبعضهم والتعاون في سبيل تدعيم مراكزهم الروحية • ومع ان الشيخ الاهدل كان اميا لا يقرأ ولا يكتب - باتفاق كل من ترجم له - الا انه كان اكثر من صاحبيه (فقراء) - اى مريدين - وقد بلغ عددهم خمسمائة مريد وكان يرسل نجباء مريديه الى جهات اخرى لافتتاح الزوايا • ومن مريديه (ابو الغيث بن جميل) و (ابن الجعد) و (القمير) و (ابن جعدار) وقد توفي الاهدل قبل بلوغ سن الاربعين باتفاق الرواة •

واحسن ما نورده في هذا البحث ما سطره احد احفاده الفضلاء الفقيه المؤرخ الحسين ابن عبد الرحمن الاهدل في تاريخه الموسوم بتحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن قال : ما نصه حرفيا : (كان الشيخ الاهدل قليل الكلام جدا وكان الحكمى والبجلى يسميانه المفدم أ ى كأن على فمه المفدام يمنعه الكلام ويقال كان للشيخ على الاهدل خمسمائة مريد نجب منهم نحو تسعين منهم الشيخ ابو الغيث ابن جميل والهدش وعبد الله ومنهم ابن الجعد ودروب والقمير وهم من مشايخ الجبال ولبنى دروب رباط وزاوية وهم متمسكون بالدين • وكان الشيخ متجردا للانتساب الى الله تعالى حكى ان الفقيه يحيى (١) بن القبيع المجدلى سأله عن نسبه فقال الى الله وبالله وفى رواية انه اشار الى الارض • ومعلوم ان من قواعد الطريق التخلى من الاسباب والانساب وكذلك لم ترهذه

---

(١) الفقيه يحيى بن قبيع المدلى الرقابى من قبيلة الرقابة وكان قومه المجادلة يسكنون المراوعة وهم اهل ثروة ورياسة مدحهم الشاعر محمد بن حمير بقصيدة عاشرة الابيات مستهلها :

حييت مـن ربع ومـن منـزل   كان محل الشادن العيطـل

وطبعك الهجر لنا فى الهـوى   والجود طبع فى بنى المجـدلى

تفقه الفقيه يحيى المذكور على الفقيه احمد بن موسى العجيل وتوفى آخر المائة السابعة

الطائفة اشهار هذه النسبة وقيل سبب اخفاء نسبهم فتنة قرابتهم من المنسكيين فتركـوا اظهار النسبة مع ان علماء زمانهم قد دونوها ومنهم الجندى والناشرى الخ ..

وقال المؤرخ الوشلي : بعد ان اورد ما اشرنا اليه قبلا ما نصه : (وكان الشيخ مجذوبا وظهرت امارات الجذب به والوصلة عليه في حال الصغر وما نشأ الا مملوءا بمعرفة الله مشغولا به عما سواه) الخ

وقال في موضع من تاريخه ما يأتى : (ولم ار من تعرض من المؤرخين لقبر والـده ومر في كلام من الاصل انهمات على قدم السياحة ثم رأيت بعض من كتب التاريخ مـن اهل تلك الجهة قال ان قبره بكدف السوداء يعرفه كثير من اهل المراوعة انتهى ولعلـه يشير الى الموضع المسمي بالمضمونى ببلد الرماة ميامن وادى سهام وقد سألت اكابر الاهل عن قبره فأشار الى ما ذكرته لكن المعروف عند ساكنى ذلك المحل ان المقبور به هو جد الشيخ فقد سألت بعضهم لمن هذا القبر ؟ فقال لمحمد بن سليمان هكذا على سبيل الجزم) انتهى ..

ونلاحظ ان الشيخ الاهدل لم يكن مجذوبا كما جاء في تاريخ الوشلي بل انه مشهود له بالزهد والتقوى ونكتفى بايراد هذه القصة نقـلا عن كتـاب تحفـة الزمـن :

ان رجلا اتى الى الشيخ مستشفعا في مظلمة فوصل والشيخ غائب فانتظره فلما وصل الشيخ سار الشيخ معه الى الامير بن معيبد الاشعرى فكلمه فيه فلم يقبل فنزل الشيخ من عنـده فلقيه رجل آخر فرجع الى الامير فلم يقبل الامير شفاعته فخرج من لديه فلقى ثالثـا تعلق به فعاد معه الى الامير .. الخ وهذا يدلنا على ان الشيخ الاهدل كان مع زهـده وتقاه يتمتع بكامل قواه العقلية ويسارع الى قضاء امور المتظلمين لدى الولاة، وانه وافر الصبر واسع الاناة يبذل جاهه ويسعى ابتغاء وجه الله تعالى في مساعدة المظلوم وامور الناس غـير متضجر ولا متبرم لانه اسمى من أن تكدر نفسيته الكبيرة وغايته النبيلة جفوة عارضـة اورد غير جميل . وراجع وصيته في ترجمة ابى الغيث بن جميل - ففيها ما يؤيد مـا اوردناه ونعترف بأنه يعوزنا الكثير من الحقائق التى ضن بها التاريخ على الباحث عـن الحياة العملية لتلك الشخصية الكريمة مما تتطلبه الدراسة ويوجبه البحث على المنهـج الحديث واقله عام ولادته وقبله حياة والده الكريم ثم نشأته على وجه التفصيل وقـد بورك له في الخلف الصالح فنجد جل بيوت العلم والفضل قد دثرت امجادها وانقطع عن بيوتها الابيته فلايزال منارا للعلم والسيادة والفضل الى هذا التاريخ توفى سنة ٦٠٢هـ قبل بلوغه سن الاربعين .

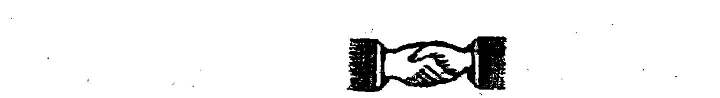
(احمد بن محمد القيراط بن عبد الستار ابن عبد الرحمن الحراز الاسدى)

ترجم له صاحب العقيق اليمانى ونعته : ببركة المسلمين وقطب العارفين الشيخ احمد ابن محمد بن قيراط :

اخذ الفقه على الشيخ محمد بن صديق بن ابى الفتح الحكمى وتعلم القراءات على الشيخ محمد بن صديق الحراز وكان اليه بعد ذلك النهاية في التلاوة والتجويد

سيرته :

قال صاحب العقيق : كان مكبا على تلاوة كتاب الله ملازما لطاعته ساعيا في مصالح الناس متواضعا كثير الخوف لله والخشية منه وكان زاهدا قانتا يلبس ما وجده وربما يجعل فوق قميصه مرقعة وله هيبة ووقار في مجلسه ، وكانت تأتيه الفتوح ـ هكذا ـ من الاقطار بكل نوع من الملبوس والمال والمأكول والاطياب والتحف وغيرها فينفق كل ذلك بل يصرفه فورا ولا يمسك الا كفاية يومه وليلته فقط ، واذا لم يفتح عليه بشيء اقترض له ولجميع المحتاجين فاذا وصله شيء بدأ اولا بقضاء الدين ثم يصرف الباقي وان كان في الفتوح مالا يليق بحال الضعفاء والمصرف ارسله الى صبيا وامر ببيعه وصرف الثمن في الفقراء والمساكين من اهل قريته ـ العقدة ـ والوافدين .. توفى رحمه الله في قرية العقدة سنة ۸۹۷ هـ





فهرس

اسماء الكتب الوارد ذكرها فى كتاب التصوف فى تهـــــامة

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الصفحة
٢٢	تاريخ وطيوط	وطيوط	٢٤
٢٣	تحفة الزمن فى تاريخ سادات اليمن	حسين عبد الرحمن الاهدل	٢٤
٢٤	نشر الريحان	اليافعى	٣٠
٢٥	نشر الثناء الحسن	الوشلى	٧٦
٢٦	العقيق اليمانى	النعمان	٣٨
٢٧	ملوك العرب	آمين الريحانى	٣٩
٢٨	لب اللباب	محمد بن حسين البجلى	٥٨
٢٩	المرتضى	محمد اسماعيل الحضرمى	٧٤
٣٠	التنبيه	جمال الدين العامرى	٧٥
٣١	الوسيط	جمال الدين العامرى	٧٥
٣٢	شرح كتاب المهذب	اسماعيل الحضرمى	٧٥
٣٣	مختصر صحيح مسلم	اسماعيل الحضرمى	٧٥
٣٤	مختصر بهجة المجالس	اسماعيل الحضرمى	٧٥
٣٥	ثمرة الحقيقة ومرشد السالكين للحقيقة	احمد بن عمر الزيلعى	٧٩
٣٦	كتاب فى الوعظ	أحمد بن علوان	٧٧
٣٧	طبقات فقهاء اليمن	ابن سمرة	٨٧
٣٨	المعين	ابو الحسن على بن محمد الاصبحى	٩١



فهرس الاعلام

ـ أ ـ





صفحة





ـ ب ـ

ـ ت ـ



- س -

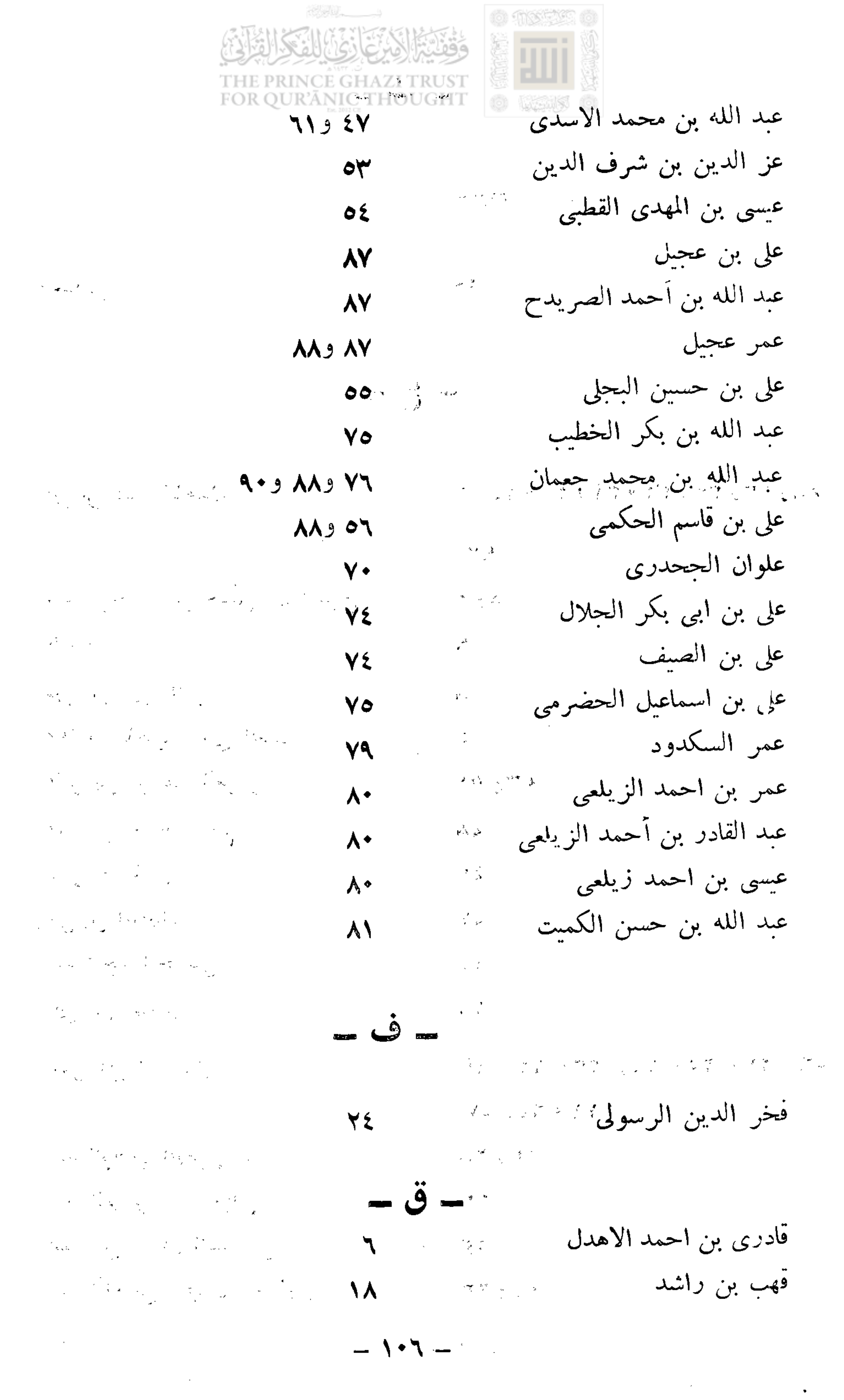
- ش -

- ص -



ـ ط ـ

ـ ع ـ



ـ ف ـ

ـ ق ـ





فهرس الامكنة

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ



ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

صفحة

ـ ش ـ

ـ ص ـ




– ض –

– ظ –

– ع –

– غ –

– ف –



ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ م ـ

صفحة

فهرس الموضوعات

صفحة

جدول التصحيحات

حدثت اخطاء مطبعية في هذا الكتاب رأينا ان نقوم بتصحيحها فيما يلى :

اولا ـ في الصفحة ٧ س ٢٤ (فعلك) خطأ . والصواب : (فعلت)

ثانيا ـ في الصفحة ١٣ تقدم في صف الحروف السطر الاول على السطر الثانى والصواب كما يأتى :

السطر الاول : ما تقتضيه الشريعة الخ

السطر الثانى : البعض مرعاة ل ابن الرداد الخ

ثالثا ـ فى الصفحة ١٧ س ٣٠ : « بلادحكم بن عبس الى صبيا » خطأ . والصواب « بلاد حكم من عبس الى صبيا »

رابعا ـ فى الصفحة ١٨ س ٢ (استقرأنا) خطأ . والصواب : (استقرينا)

خامسا ـ في الصفحة ١٣ وقع تخالف في الصف بين السطرين الاول والثانى ، فجعل الاول هو الثانى والثانى هو الاول . فيراعى تصحيح الخطأ طبقا لما ذكر هنا .

سادسا ـ في ص ٢٦ س ٩ « حاشيــة » (تمثل) خطأ . والصواب : (تحثل)

سابعا ـ في ص ٣٣ س ٤ (ان حفيده)خطأ.والصواب : (ان حنيدالشيخ الحكمى)

ثامنا ـ فى ص ٣٦ تعدل المادة « ٤ » بمايأتى :

« ورد في تحفة الزمن في تاريخ سادةاليمن وفي بلاد الفخرية منصب كبير لآن المتخذ

تاسعا ـ في ص ٣٧ تقدمت المـادة (٦)غلطا على المادة الخامسة واشتبكتا مع بعضها والصحة كما يأتى :

٥ ـ وجاء في المصدر نفسه في سـياق اخبار عبد الله بن يعقوب الحكمى انه كان اليه نصب آل الحكمى

٦ ـ وجاء فى المصدر نفسه فى سـياق اخبار الفقيه « احمد بن عمر الاهـدل » المتوفى سنة ٦٠٢ ما نصه حرفيا « كان الفقيه احمد بن عمر الاهدل فقيها الخ »

عاشرا ـ فى ص ٥٣ (صف آل الحكمى)خطأ • والصواب « في صفف آل الحكمى»

حادى عشر ـ في ص ٦٤ في آخـر السطر الاول « اسم » خطأ • والصـواب (اسمه)

ثانى عشر ـ في ص ٧٩ س ٥ « هـو العباس » خطأ • والصواب (هو ابوالعباس)

ثالث عشر ـ في ص ٧٩ في س ٤ « وكان يسمح » خطأ • والصواب (وكان لا يسمح)